

د. أحمد خالد توفيق



الحظاء
اليوم



د. أحمد خالد توفيق

اثنا عشر رجلاً ..

اثنتا عشرة طريقة للموت ..

ولعنة تطاردك في كل صوب ..

تمر بالاطوار المعتادة، في البداية أنت لا تعرف .. بعد

هذا أنت لا تلاحظ .. ثم تلاحظ فلا تصدق .. ثم تصدق

فلا تعرف ما ينبغي عمله ..

يقول الغربيون إنك لا يمكن أن تكون حذراً أكثر من

اللازم. وهذه القصص تطبيق عملي صادق لصحة هذه

المقولة ..

حظك
اليوم

الكويت
2008



مقدمة

اثنا عشر برجاً..

اثنتا عشرة طريقة للموت..

ولعنة تطاردك في كل صوب..

تمر بالأطوار المعتادة: في البداية أنت لا تعرف.. بعد هذا أنت لا تلاحظ.. ثم تلاحظ فلا تصدق.. ثم تصدق فلا تعرف ما ينبغي عمله..

لا تعرف أن فلاناً مات.. ثم تعرف أن فلانة ماتت لكذلك لا تلاحظ ظروف ميقتها الغريبة.. ثم تلاحظ الظروف لكذلك لا تصدق.. لا بد من تفسير علمي لهذا.. الآن أنت تصدق لكن ماذا يوسعك أن تفعل؟

أنا لا أؤمن بالأبراج ولا أعتقد أنها تتحكم في حياتنا، وقد قابلت ألف واحد من برج القوس قرأت ألف شخصية وألف نمط نفسي، ولو كانت الأبراج صادقة لما كان البشر بهذا التعدد السخي، ولما وجدت إلا ١٢ نمطاً لمن حولك.. الحياة ليست بهذه البساطة. لكن هؤلاء المحررين الشباب اقتربوا جداً من الحقيقة، وتسببوا بشكل ما في موت مشعوذ شرير هو (عدنان) الفلكي الذي تملأ إعلاناته الصحف ولا يتعامل إلا ببطاقات الائتمان.. إنه شخصية قمية من الطراز الذي لا يقبل الخسارة، ويعتبر من يعاقبونه على ذنبه

مجرمين، وهكذا عرف الصحفيون الحقيقة القاسية: قد تكون الأبراج خرافة لكن لعنة المشعوذ حقيقية تماماً...

الأسوأ من هذا أن اللعنة تملك ثقافة واسعة وتلعب بالمتراذفات والمجاز.. لا يجب أن يطاربك أسد هارب من حديقة الحيوان لو كنت من برج الأسد، وإلا كانت الحياة رائعة الجمال.. هناك أسد ما في مكان ما سوف تكتشفه وأنت تطالع ما حدث لكل صحفي من هؤلاء..

يقول الغربيون إنك لا يمكن أن تكون حذراً أكثر من اللازم، وهذه القصص تطبيق عملي صادق لصحة هذه المقولة..

هل من مقر؟

هل من نهاية لهذا الكابوس؟

هذا ما ستعرفه عندما تقرأ هذه المجموعة من القصص القصيرة التي يربطها خيط واحد..

من ٢١ مارس إلى ٢٠ إبريل



ليس من عادتي أن أعتذر عن عمل صائب قمت به، والدقة لم أعتد أن أعتذر عن أي خطأ ارتكبته في حياتي. على الأقل على مستوى البشر، لن أعتذر ولم... نحن في النهاية بشر نخطيء ونزل وتتكبر ونجهل ويُجهل علينا، وكلنا في النهاية يؤساء أرغمتهم ظروفهم على الزلل، فلمن أعتذر ولم؟

لو لم يكن هذا البرد وهذا الظلام لاستطعت أن أعبر عن أفكاري بشكل أفضل، لكن تفكيري مضطرب تماماً..

لقد تعلمت أن أسامح وأنسى.. أسامح نفسي أولاً ثم أسامح الآخرين، لكنني لا أطيق الشر وإيذاء الأبرياء.. لا أطيق من يعتبرني غيباً أو يعتبر الآخرين أغبياء.. لهذا لن أعتذر.. آسف.

ما حدث لـ (عدنان) استحققه بالتأكيد، ولا أشعر بأية شفقة تجاهه. لقد جمع ما يكفي من مال - سلب الأثرياء ولعب بعواطف الحسناوات، ويكفي أن ترى إعلانه عن نفسه لتصاب بالقشعريرة. الرجل يملك أكثر من رقم فاكس ويظهر في أكثر من قناة فضائية، ولديه عدة أرقام حساب في مصارف أوروبية. الرجل يقضي إجازته في الكوت دازير ولديه مزرعة خيول، ويبدو أنه ممن يصطادون الثعالب في بريطانيا ويتزلجون في سان موريتز.

(عدنان) الفلكي.. سوف تجد هذا الإعلان باهظ الثمن في مركز الصدارة من أية مجلة، وسوف تجد كلامه المنشور يحاول محاولة ساذجة أن يتخذ طابعاً دينياً. تارة يحاول تقليد الأسلوب القرآني وتارة يقلد الإنجيل، على غرار (الحق أقول لكم).. الخ..

ثم صورته !

هذا المخلوق القسوي يشع الخلقة الذي يطل عليك من الصورة بعينيه الناريتين اللتين دربهما عدة ساعات أمام المرأة قبل أن يلتقط الصورة. كل ما عليك هو أن تخبره بتاريخ ميلادك وترسل ورقة بخطك وقطعة من ثيابك، وهو سيعطيك تاريخاً ومستقبلاً كاملين.. سوف يخبرك بمن تتزوج ومتى تموت وأين..

الغريب أن الناس كانت تصدق.. تصدق وتدفع. ما شأنكم أيها الحمقى؟.. الرجل يوشك على أن يعلق على صدره لافتة تقول: أنا نصاب، لكن الناس مولعة بأن تتخدع حقاً. كلما تضخمت الكذبة كان تصديقها أسهل.

وفي المجلة التي أعمل بها استدعانا رئيس التحرير، وقال لنا إنه راغب في تحقيق سبق صحفي. سوف نقوم بلعبة خبيثة نخدع بها ذلك النصاب، وسوف نفصح بالوثائق. كنا عشرة محررين وسكرتير التحرير ورئيسه. هذا يعني أننا كنا اثني عشر متآمراً. وكانت الحيلة خبيثة لن احكيها لك بالتفصيل لأننا قد تلجأ لها ثانية. في الغرب هناك ساحر شهير اسمه (جيمس راندي) تخصص في فضح السحرة الآخرين.. هو يقبل ممارسة السحر كنوع من الفن الراقي الذي لا يزعم صاحبه أنه سحر.. لكنه لا يطبق النصابين الذين يزعمون أنهم سحرة حقاً. هؤلاء يعرفون تقدم المجتمع ويمثلون عقول الناس بالخزعبلات، ويمتصون دم الأراذل والأيتام. هكذا قام راندي بفضح الكثيرين من هؤلاء المدعين، وكانت الضربة الكبرى في برنامج تلفزيوني شهير لعالم روحاني أمريكي فائق الشهرة. لقد طلبت منه امرأة عجوز أن يشفيها من سرطان الرحم، فبدأ المعالج يلعب الأعيه المعروفة أمام الكاميرا ثم أعلن أنها قد شفيت. هنا تنزع العجوز شعرها المستعار وثيابها فيتضح أنها رجل مبتكر من أعوان

راندي!.. كانت هذه ضربة قاصمة ولم يسمع أحد بعدها عن ذلك المعالج الروحاني ثانية. هذه هي طريقة راندي، وقد استعملنا نحن أسلوباً مشابهاً..

صدر عدد مجلتنا وعلى غلافه صورة النصاب مع مانشيت عملاق يقول (نحن نفصح عدنان الفلكي). وصور للمراسلات بيننا وبينه، مع الصور التي تبين حيلتنا. لقد ابتلع الرجل الطعام كاحمق وقضغ نفسه بعنف. نحن كذلك لم نقصر ووجهنا له ضربات عنيفة جداً للدرجة أنه صار موضوعنا المفضل لعدة أعداد. كان القراء مهتمين به لهذا وصلنا العديد من الخطابات ودار جدل ملتهب على شبكة الإنترنت. لأن الرجل كان قد أوشك على أن يكون ظاهرة في اختراق الحجب فجعلناه ظاهرة في النصب..

لقد كان عملاً جيداً وأنا فخور به. وبدأ أن أعمال الرجل تراجعت جداً، ثم وجدنا أن الشرطة الفرنسية تحقق معه بصدد بعض الفضائح الأخلاقية.. هذان تويمان لا يفترقان: النصب والفضائح الأخلاقية.. هناك مؤامرات به يائسات يقصدهن وهن مستعدات لأي شيء.. أي شيء من أجل الخلاص. هذا ما يحدث مع الدجالين في الريف عندنا..

دارت العجلة بسرعة.. الرجل لم يتحمل القشل والفضيحة، من ثم قطع شرايين معصمه في السجن ولم يتمكنوا من إنقاذه. عندما تقرر أن تلعب بالنار فلا تملأ الدنيا صراخاً عندما تحترق. لم يكن جلده ثخيناً كما ينبغي لأي نصاب، ولم يتحمل أن يفقد كل شيء..

لست نادماً على شيء ولو عرفت أنه حي وعاد يمارس نشاطه فلسوف أفعل الشيء ذاته.

مر أسبوع على سماعنا خبر وفاته ونشرنا هذا في حينه، على

إنني تلقيت خطاباً باسمي من فرنسا. فتحتُه مندبهاً لأنني لا أعرف
أحدًا هناك. كان الخطاب بالعربية وبخط أتيق جداً يقول:

«برجك سوف ينتقم لي»

لم أفهم المقصود. لكنني عرفت أن الخطاب من (عدنان) طبعاً. برج
وفرنسا.. إذن لا يوجد شخص آخر يمكن أن يكتب هذا الكلام الفارغ.

من الواضح أنه كتب قبل الانتحار وأرسله لي من باريس. وصل
الخطاب بعد رحيل صاحبه. بالطبع يعرف الرجل أسماء الذين
اشتركوا في هدم أسطوره، ووضع حجر عملاق يسد مجرى المال
المدفق إلى جيبيه.

كما توقعت فوجئت أن (ثريا) زميلتي تلقت خطاباً مماثلاً، ورئيس
التحرير تلقى واحداً.. بالواقع تلقى كل واحد منا خطاباً.. لكن كيف
ينتقم برجك منك؟

قالت لي (ثريا) مازحة:

«خذ الحذر.. إن أرواح المنتحرين تكون قلقة وقادرة على إحداث
أشياء مادية.. سوف يقتلك برج»

وقال لنا رئيس التحرير:

«طبعاً هو تهديد شخص أدرك أن عالمه يفلت منه. لم يكن بوسعنا
عمل شيء، لكن هذا يجعله أقرب إلى الضحية في ذهن القراء، وهذا قد
يقلب الآية ونصير نحن الأشرار.. علينا أن نكون أكثر حذراً في
مغامراتنا التالية»

صرف لكل منا مكافأة برغم كل شيء، وقد قررت أن ابتاع
لزوجتي هدية لتذكرها بأنني لطيف مجامل إن كانت قد نسيت هذا..

الطريف أن اليوم ٢٤ مارس هو عيد ميلادي، لكني لا أتوقع أن تتذكر
زوجتي ذلك.. إذن فلأتذكرها أنا.

ذهبت إلى أحد الصائغين وسألت عن شيء رخص ثمنه وثقل
وزنه. شيء يبدو مبهرًا للنساء لكنه ليس كذلك بالنسبة لصائغ.
ضحك الرجل طويلاً وقد بدا أنه يسمع هذه الكلمات للمرة الألف، ومد
يده يبحث في منضدته ثم أخرج لي (بروش) من الذهب.. لم أفهم
الشكل المحفور عليه لكنه بدا متقناً ودقيقاً جداً. أعتقد أنه ذهب يأكل
العشب. كان الثمن معقولاً لذا أخذته وأنا أطير قرحاً..

كانت (هالة) في المطبخ منهمكة في تقطيع البصل. عندما تسالت
وراءها وقمت برفع البروش أمام عينها. نظرت له ثم عادت تقطع
البصل وهي تستنشق بقوة كي لا يسيل مخاطها. آه..! إن ثريا معنا..
ثريا معنا بعنف..

هالة تغار من ثريا.. هالة تعتقد أن بيني وثرثيا شيئاً ما، والسبب أن
علاقة العمل بيننا قوية، بينما هي لا تعمل إلا كست بيت. هالة ليست
مخطئة تماماً.. أنا متعلق بثرثيا أكثر من اللازم لكن هذا لن يؤدي
لشيء عملي.

«هذه هدية لك.. ثلث مكافأة عن موضوع (عدنان) النصاب إياه»

«أرجو أن تسمح لي بالآ أقبلها»

نظرت لبقائها في غل.. إنها تجد متعة جنونية في أن تشعر بالظلم
والغبن، وما تقوم به من تقطيع بصل هو نوع من الاستشهاد يشعرها
بأنها أفضل بينما أنا مجرد خنزير.

اعتصرت البروش قبضتي فشعرت بشيء يخترق كفي. خرجت
من المطبخ وسخلت الحمام. فتحت قبضتي فوجدتها تنزف دمًا.. إن

الدبوس الخاص بالبروش انفتح واخترق لحم كفي.. لا ياس.. قمت بتطهير الجرح بالسافلون، ثم اتجهت لباب الشقة ففتحته وقلت بصوت عال:

«سوف أتناول الغداء في الخارج»

ضربة قوية لها أن تعد الطعام عدة ساعات لتأكله وحدها. اتجهت إلى المقهى وطلبت فنجان قهوة وجلست أفكر. فجأة اشعر بأن حرارتي ترتفع.. أريد أن أفرغ معدتي.. أشعر بدوار.. ماذا حدث لي؟.. دقات قلبي تبطيء جداً لكنها تزداد قوة فأسمعها تتردد في أنفي.. ما الذي...؟

كان العرق البارد يغمر جبيني وأنا أسمع القهوجي يسألني من وراء الأبدية:

«هل أنت بخير يا أستاذ عصام؟»

«بخير.. بخير»

وكان هذا آخر شيء قلته، لأنني أفقت في المستشفى بكامل ثيابي ما عدا الحذاء.. هناك زجاجة محلولة معلقة جوارى.. أشعر بوهن وتوعك شديد.. تتميل حاد يغمر تصف وجهي ونصف لساني ونصف جسدي كله. أرفع عيني فأرى (هالة) زوجتي جالسة تنظر لي في قلق.. تنظاها بالقلق...

تقول لي:

«لا تخف.. الأطباء يفتشون عن سبب التسمم»

«أي تسمم؟»

«تسمم الدم الذي حدث لك.. يقولون إنك حققت بشيء ما..»

حققت؟.. ثم تذكرت فمددت يدي إلى جيب السترة وبحثت.. خرجت يدي بالبروش. هذا هو الشيء الوحيد الذي اخترق جلدي مؤخراً، ما الذي لوث الدبوس؟.. دقت النظر في البروش أكثر بينما الوهن يجعل الصورة مزدوجة، هذا ليس نثياً.. الذئب لا تأكل العشب.. هذا النقش أقرب إلى حمل.. حمل صغير يمد فمه ويلتهم بعض الأعشاب. اليوم ٢٤ مارس عيد ميلادي وهذا يعني أنني من المحظوظين الذين ينتمون ليرج الحمل!

برجك سوف يقتلك.. هو قالها.. فهل لهذا معنى ما؟.. الصدقة لا تحدث بهذه البساطة. معنى هذا أن حملاً سوف يقتلني أو قتلني بالفعل.. ناولت البروش لزوجتي وطلبت منها أن تخبرني بما تراه، فنظرت له للحظة وقالت: هذا حمل يرعى العشب!.. ثم أعادت لي في اشمزاز.

لو إنني توقيت بسبب هذا الجرح فمن الواجب على الآخرين أن يعرفوا. ربما كان هذا وهما وربما لم يكن، لكن لا بد أن يأخذوا الحذر. قلت لزوجتي أن تناولني قلماً وورقة..

«هل تنوي أن تكتب خطاباً لثريا هانم؟»

«أنت تتكلمين بلساني!..»

وجلست في الفراش أحاول أن استعيد وعيي وترابط أفكاري. خذوا الحذر يا رفاق.. يبدو أن لتهديد النصاب نصيباً من الصحة.. البروش كان يمثل حملاً.. وأنا حسبته نثياً في البداية.. رياه!.. إن وعيي يتسرب بسرعة كأنه الغاز من أنبوب مثقوب.. هل هو الموت؟.. لا.. لا اعتقد هذا.. لكن.. لعابي يجف.. الظلام ينتشر.. يجب أن أكتب بسرعة.. يجب...



من ٢١ يونيو إلى ٢٠ يوليو

اسمي (ثرثيا) .. لا شك أنك تعرفني جيداً
لو كنت من قراء مجلّتنا ..

لقد كتبت عدداً من التحقيقات الجريئة،
وشاركت في أكثر من برنامج تلفزيوني
كضيفة وأحياناً خلف الكاميرا كمعدة.

تسألني لماذا أنا حزينة؟ .. هناك سببان وأنت تعرف السبب الأول ..
لا أجرو على قول إنني فقدت حبيباً لكنها الحقيقة. (عصام) كان
يحبني ولم تعد جدوى من إنكار هذا.

مشكلة المرأة أنها لا تقابل هؤلاء الرجال المناسبين إلا بعد ما يكونون
قد تزوجوا من امرأة غير مناسبة. وهم لا يجدون المرأة المناسبة إلا بعدما
يكونون قد أنجبوا. هنا تبرز المشكلة .. زوجة ثانية أم عشيقة أم تنسى
الامر برمته؟ .. أنا لا أقبل أن أكون زوجة ثانية ولا عشيقة .. وبالطبع
علاقتنا الدائمة في العمل لا تسمح لي بأن أنسى الأمر برمته، لهذا ظلت
العب على الحبال كلها .. لم أتخل عنه ولم أقترّب منه أكثر ..

لا شيء مثل الكفاح المشترك يقرب بين الذكر والأنثى، ولا شك أنه لم
ينس ليلة من الليالي التي سهرنا فيها نديج مقالاً أو نعيد صياغة خبر ما،
أو ننتظر نتيجة انتخابات أو الحالة الصحية لمحتضر .. ثم ننزل إلى
الشارع المظلم البارد الذي ينهمر فيه المطر. نمشي في صمت ونحن
نشعر بأننا نذوب وتتحل بالكون ذاته. لا بد من أن يوصلني لأن الشوارع
خطرة في هذه الساعة. وعندما نفترق يفتح قمه ليتكلم فأمد يدي
لاضعها على قمه لاخرسه .. كل ما سيقوله سوف يزيد الأمور تعقيداً ..

تفرح معا وتحزن معا.. ننتشي معا.. نقلق معا.. ماذا ينقصنا كي
نتزوج؟

لقد توفي (عصام).. توفي ولم تكن معه سوى زوجته. يقال إن
السبب تسمم دم من جرح بدبوس صديء.. نهاية غريبة قاسية. لكن
كل شيء يمت لعصام غريب وربما قاس..

كان هذا في الفترة التي تلت قضاءنا على أسطورة النصاب
(عدنان).. أنت تعرف تلك القصة وقرأت عذها بالتاكيد. ثم ترك لنا
عصام تلك الرسالة الغريبة التي كتبها في المستشفى..

كلام غريب جداً عن الحمل والأبراج وانتقام (عدنان).. كلام أبسط
ما يقال عنه أنه وليد عقل أثلغه تسمم الدم، ولقد أحزنني كثيراً أن آخر
كلمات قالها كانت هلوسة..

تذكرت أنني قلت له على سبيل المزاح:

«خذ الحذر.. إن أرواح للتحررين تكون قلقة وقادرة على إحداث
أشياء مادية.. سوف يقتلك برج»

أنا لم أكن أعيا بالأبراج طيلة حياتي، وإن كنت أعرف يقيناً أن
برجي لا يتوافق البتة مع برج عصام!.. هذا مثير للسخرية. برجي
هو ذات برج رينجو ستار والأميرة ديانا وثلسون مانديلا وقيصر
ورميرانت!.. هل يعني هذا ميلاً للفن في عروقي؟.. ربما يعني أنني
سياسية محنكة.. بالطبع لا أثق لحظة بهذا الهراء، لكنني اندمجت
فيه عندما كنا نتخلص من هذا العدنان. قمت بهذا مع عصام.. مع
الآخرين طبعاً...

في المجلة أقاموا حفل تأبين بسيطاً له، وقالوا بعض كلمات
الوداع له..

هناك أناس يجدون أنفسهم بشكل غريب في هذه الأحداث
المؤسية. كأنها أسعد لحظات حياتهم. أما أنا فكان علي أن أتماسك وألا
أبدي لهفة أو انهدياراً أكثر مما يجب علي أن أبدي. فقط أتذكر أن امرأة
أخرى هي التي أغمضت عينيه وهي التي رافقته إلى القبر.

فقط دخلت دورة المياه.. تأكدت من أن الباب مغلق ثم انفجرت في
بكاء حار طال عدة دقائق، حتى أذيت كل ما على وجهي من مساحيق
وصرت أشبه الأراجوز.. كان علي أن أنتظر بعض دقائق حتى أعيد كل
شيء لموضعه، وحتى أغلق ياقة الثوب جيداً حتى لا يلاحظوا شيئاً..

الآن أجلس في بيتي أفكر وأكتب هذه الكلمات..

من الناحية الأسرية أنا مقيمة مع أمي بعد وفاة أبي. أمي مسنة
مصابة. كالعادة.. بتلك الصفة التي لا تأتي إلا جملة: ارتفاع الضغط..
البدانة.. السكر.. ومن القلب.. يقولون إنها مرشحة بقوة للرحيل، لكنني
لا أطيق أن أتصور ما قد يحدث بعدها. ليس لنا أقارب أو هم تخلوا
عنا.. فقط أمي العجوز هي مركز حياتي وهي القلب الذي أخرج منه
وأعود إليه.. لا تكف عن الكلام عن زواجي، وعن المهنة التي لن تجلب
لي الخير أبداً، لكن أليست الأمهات جميعاً يقلن الكلام ذاته؟.. في
الحقيقة بدأت أعتقد مؤخراً أنها هي التي ستفقدني أولاً..

طبعاً أمي لا تعرف أي شيء عن عصام ولو عرفت لجنت، كما أنها
لا تعرف أنني أعتبر نفسي أرملة منذ عرفت الخبر..

رئيس التحرير جمعنا وقال لنا: «سوف يمضي كل شيء.. لن
يشعر أي قاريء باختلاف حتى لو مت أنا شخصياً.. ليس للواحد منا
الحق سوى في حفل تأبين وبرواز في المجلة.. هذا هو كل شيء..»

قاسية هي هذه الحياة.. قاسية وغير عادلة.. والاسوأ هو ما
وجدته منذ أسبوعين وأنا أستحم و..

أكتب هذه الكلمات وأنا أرى شيئاً يتحرك هنالك في الركن..

صروور؟ لا أظن.. إنه أكبر من ذلك.. فأر؟ لا.. الأنتى التي لا
تشعر بالفأر فتصرخ وتنب على مقعدها لا تستحق لقب أنتى.. إذن هو؟
نهضت في حذر وزحفت على ركبتي إلى أن دتوت منه.. كان
يتوارى بسرعة تحت الأريكة لكنني تمكنت من رؤية الزبان المرفوع
هي الهواء، ثم اختفى في الظلام تماماً..

عقرب!.. عقرب في غرفة نومي!

إن وجود العقارب هنا ليس مستحيلاً لأننا على حافة الصحراء،
ولنا جارة مرت بموقف مماثل، لكن هذا لم يحدث قط معي أنا.. لو
يقظت أُمي لمئات الدنيا صراخاً وأصيبت بنوبة سكر.. إذن ليس من
أحد أستعين به سواي للقضاء على هذه الكارثة..

بحثت عن خف صلب ورحلت أفتش تحت المقعد.. أزحته تماماً لكنني
لم أجد العقرب تحته.. هذا يعقد الأمور لأنني لن أنام وهذا الشيء في
غرفتي..

عدت إلى مكتبي ورفعت قدمي إلى المقعد بينما عيناى لا تفارقان
أركان الغرفة.. هو في موضع ما هنا.. على الأقل هو لن يخرج من
الغرفة..

عقرب!.. لماذا عقرب؟.. لماذا الآن بالذات؟

حياة كثيفة قاسية تلك التي أحيأها هنا مع أُمي.. لا أعرف كيف ولا
متى نخرج منها.. والسيناريو الوحيد الممكن هو أن أتزوج وأتي بـ رجل
ابن حلال يعيش معنا.. لكن هناك مشكلة عصام.. كنت أرى رجلاً
واحدًا في الكون وهذا الرجل قد مات يتسعم دم.. أشعر بأنه قد فر مني
بشكل ما.. السيناريو الآخر هو أن أموت، وهي فكرة لم تعد
مستبعدة..

ربما أنجح في عالم الصحافة.. أعرف هذا يقينا.. هناك أناس كثيرون
يحفظون اسمي ويبحثون عن مقالاتي، لكن ما هو أعلى مدى يمكن أن
أبلغه؟.. هناك سقف وهذا السقف بعيد جداً عن السقف الأعلى الذي
يكفل لي السعادة.. ما هذا؟.. هل تراه؟.. لقد تحرك شيء هناك..

جريت من جديد كالملسوعة إلى ركن الغرفة المجاور للشرقة لكنني
لم أر شيئاً.. عندما تبحث عن عقرب فكل شيء في الغرفة يتحرك
كمقرب.. هذه قاعدة..

أعرف أن اللدغة لن تكون مميتة، لكنها سوف تسبب لي ساعات
تعسة لعدة أيام.. فقط الأطفال يموتون بلدغات العقارب أما فتاة
ناضجة كبيرة مثلي فصوف...

عصام كان من برج الحمل، وقد أذره عدنان بأن برجه سينتقم
له.. ما معنى هذا؟.. زوجة عصام تكلمت عن بروش يشبه الحمل أو
الذئب كان في يد عصام وقد حاول أن يهديه لها لكنها رفضته.. هذا ما
قالته لصديق مشترك.. عصام كان يحمل البروش معه في
المستشفى.. ربما كان آخر شيء رآته عيناه..

يمكن بشيء من الخيال أن تتصور أن هذا الحمل هو من قتل
عصام.. قتله برجه..

المذكرة المرتبكة التي تركها لنا تقول هذا، لكن هذا هو السخف
بعينه.. لا يجب أن أنجرف وراء هذه الأوهام.. أنت فتاة عاقلة ولو كنت
أقل عقلاً لقبلت أن تكوني زوجة ثانية.

أرى شيئاً يتحرك هناك في الركن قرب رجل القراش.. أنا متأكدة
هذه المرة من أنه هو.. لكن لا يجب أن أمشي حافية القدمين في هذه
الغرفة.. ربما أدوس ذلك الشيء وعندها.. إن حدثت قريب من المكتب
على كل حال..

أمسكت بالمسطرة وأنحيت على مسند المقعد، وبصعوبة رحت أقرب الحذاء مني.. أقرب.. سوف أدس قدمي فيه ثم أعاود حملة التفتيش..

حشرت القدم اليمنى، وأوشكت على حشر اليسرى عندما رأيت شيئاً يتحرك داخل الحذاء المظلم.. إنه هو..! هذا الخبيث تسلل إلى حذائي كعادة كل العقارب في الواقع، بانتظار قدمي العارية كي تتواجد معه في مكان ضيق واحد!

وأنا كنت سألبس هذا الحذاء على سبيل الوقاية..!

ألقيت الحذاء على الأرض في هستيريا قرأته يهرع قاراً منه. كانت هذه هي اللحظة المناسبة فلا وقت للذعر الانشوي. أمسكت بالفردة وهويت بها عليه.. و.. بلوتش ش!.. أكره هذا الصوت البشع..!

لحسن الحظ أنه لا يتلوى كالسحالي أو الأفاعي. لقد انتهى أمره في لحظة..!

في تفرز بحثت عن ورقة ألقيت بالجنة فيها وخرجت إلى الشرفة لأطوح بهذا الشيء خارجها. لم يستحق الموت لكنني لم أستحقه كذلك. فكلانا كان نحسا على الآخر. فقط أنا لم أتسلل إلى حجرتة ليلاً!

عقرب في هذا الوقت؟.. لماذا؟ لكن الهدوء قد ساد على كل حال، ويمكنني أن أفكر فيما حل بجسدي.

تقهقرت إلى الغرفة ووقفت أمام المرأة.. ببطء فتحت أزرار مئامتي وكشفت عن جذور عنقي، ورحت أتأمل تلك الانتفاخ. الانتفاخ الذي وجدته منذ أسبوعين وقال لي الأطباء إنه عقد لعقوبة صلبة. قالوا لي إنها مريية الشكل وإنها توحى بمرض خبيث، لكن لا بد من أخذ عينة وبسرعة..

سألتهم في حيرة: هل هو السرطان؟.. هزوا رؤوسهم أولاً ثم قالوا: لا تعرف.. لن نعطي رأياً قبل أخذ العينة.. طبعاً لم أفعل ذلك حتى هذه اللحظة.

أنا أكره الأبراج وكل هذا الهراء، لكن لو تذكرنا أنني من برج السرطان، فهل يمكن أن يكون برجتي قد انتقم مني فعلاً، وتكون هذه العقد هي بداية نهايتي؟.. عندما يكون عدنان قد صدق مرتين..

وانت؟.. هل حسبت أن العقرب سيقتلني لأنني من برج العقرب؟.. لا تكن أحمق.. أنا مولودة يوم ١٢ يوليو فما دخل العقرب في الموضوع؟..

أنا من برج السرطان.. برج رينجو ستار والأميرة ديانا ونلسون مانديلا وقيصر ورمبرانت.. لو اتضح أن هذه العقد اللعناوية سرطانية. ولو أنها قتلتني كما رأيت في عيون الأطباء، فإن يوسعك القول أن عدنان أحرز هدفين لكيتين..

لكنني.. كما قلت لك.. لا أصدق هذا الهراء.

من ٢٠ يناير إلى ١٨ فبراير



«عندما يصير القمر في المنزلة السابعة ..
وعندما يتوازي المشتري مع المريخ .. عندهما
سيهدي السلام الكواكب، ويبحر الحب
بالنجوم..»

سألني (منير) عن سبب شرودي .. قالها على الطريقة الإنجليزية:
«ينسان من أجل أفكارك»، فرددت ساهمة:

«اتصلت بي (ثريا) .. إنها مصابة بالسرطان فعلاً .. يبدو أن الوقت
تأخر على إجراء جراحة..»

ونظرت إلى جهاز المحمول ساهمة ..

يحب منير أن يكون بالفائلة الداخلية مع الشورت وهو على ظهر
البيخ الخاص به . لا أذكر أنني رأيته بتيابيه الكاملة إلا نادراً، فإن رأيته
بتيابيه الكاملة فهو حافي القدمين غالباً .. دعك من أنه يخفي عينيه خلف
نظارة سوداء لا ينزعها إلا عندما يقرر استعمال عينيه .. وأنت تعرف
متى يستعمل عينيه طبعاً..

عاد يسألني:

«هذا محزن .. إنها صديقتك طبعاً؟»

«زميلتي في الجريدة .. هي بين الصديقة والأخت..»

لم يدركم أنا صداقة في هذا .. هي حشرية تحملك أعباء لا نهاية
لها كالصديقة، وهي مزعجة لا يمكن التخلص منها كالأخت، لم أكن
أحب ثريا لكن ليس إلى حد أن أتعنى لها أن تموت بالسرطان طبعاً..

رحت أنظر إلى الماء الأزرق الذي يتطاير أمام مقدمة اليخت.. سكبن لها شكل للكواة تشق الماء إلى نصفين.. ترتفع المقدمة لعنان السماء حتى أشعر بأنني أطيء..

فرويد تكلم عن حلم الطيران، وقال إنه يرمز للاتصال الحميم.. هذا رجل عبقري.. أنا أشعر بأنني بلا مقاومة على الإطلاق لكنني أتماسك..

من الصعب ألا تفقد الفتاة وعيها إذا كانت فقيرة مثلي، عندما يهيم بها شاب مثل (منير) لا.. لن أقول (يهيم بها).. هناك تعديل بسيط يقلب الياء إلى تاء لتصير (يهتم بها)..

يهتم بي.. هو يتسلى على الأرجح، ولا أتوقع أن أجده يحملني باليخت إلى المأذون لينخل عليه مبللاً حافي القدمين يطلب أن يزوجني له.. لا.. لست بهذه السذاجة.. هو يتسلى قليلاً وأنا كذلك أتسلى..

منير رجل أعمال مثل أبيه، عرفته عندما أجريت لقاء صحفياً مع أبيه وعرفت أنه يمارس عملاً لا أعرف ما هو بالضبط لكنه يجلب مليوناً بعدة مكالمات هاتفية.. هناك مضاربات وبيع أسهم وأراض بيتاعها فيرتفع ثمنها بعد دقائق.. ليس هذا كله مشروعا.. الكسب المشروع كالحقيقة مخيب للآمال وبطيء جداً، بينما المال الحرام كالخيال.. يأتي بسرعة البرق ويأتي بسخاء..

منير يدخل الغرفة.. منير يحييني.. منير ينزع نظارته السوداء.. جزء عار من وجهه بين حاجبيه الكثين ولحيته الكثيفة.. هذه من المرات النادرة التي رأيته فيها بكامل ثيابه.. منير يرميني بنظرة من تلك النظرات.. منير يصير على أن يوصلني بسيارته الرياضية التي لم أحفظ اسمها برغم محاولاتي.. جرعة عالية جداً أودت بعقلي وجعلتني أترنح، هذا ليس عدلاً.. الأمر يشبه أن ترى بلطجياً ضخماً

كالثور يتسلى بصفع وركل رجل ضئيل في حجم شارلي شابلن.. لا قرصة لدى الرجل الضعيف أمام طوفان القوة هذا.. لو سقط على الأرض أو توسل من أجل حياته فلا لوم عليه.. هكذا أدركت أن المباراة غير متكافئة وأنتي خسرتها قبل أن تبدأ..

هكذا بدأ كل شيء..

لقد مررت بفترة عصيبة، أعتقد أنني كنت متعلقة بـ (عصام) بشدة.. أعتقد أنه يناسبني تماماً، وعلى فكرة أنا مؤمنة بالأبراج تماماً، وقد قرأت أن برجيه هو أنسب برج لبرجي.. برجني الذي هو برج تشارلز ديكنز وريجان وموتسارت ولتكوان..

لكن الأخت الفاضلة (ثرثيا) تدخل في حياتي وتأخذه مني.. السرطان لا ينسجم مع الحمل أبداً مهما حاولت، لكنهما لا يؤمنان بالأبراج على كل حال..

عصام متزوج لكن من الواضح أنه متعلق بثرثيا.. لا شك في هذا... هذا لا يمكن فهمه.. لو أنني كنت قبيحة كالشيطان أو غبية كالصخرة لفهمت، لكن لا يوجد منطق لهذا على الإطلاق.. هكذا بدأت علاقات كثيرة على سبيل الانتقام..

ثم دارت الدورة وجرت مياه كثيرة تحت الجسور.. عصام مات يتسعم دعوي لا يفهم أحد سببه، وثرثيا هائم مصابة بالسرطان.. يبدو أنني أكرر فيلم أمير الانتقام بشكل ما.. كل من آثاني أو ضايقتني يدفع الثمن.

سوف أتجاهل هذا كله وأنعم بهذه اللحظات مع الثري الأمثل حافي القدمين (منير). هو دعائي إلى هذه الترهة في اليخت الخاص به وقد قبلت.. ليست هذه المرة الأولى.. لقد قمنا بجولة مماثلة من قبل في

البحر الأحمر.. يأتي بالطعام وعشرات من علب البيرة في ثلاثة
صغيرة.. كل ما يلزم لصيد السمك.. يضع كل هذا في اليخت.. معه
بحار شاب صغير لا يتكلم تقريباً..

هذا يستعيد منير حيويته وعنصره الطبيعي.. تشعر أنه كائن ينتمي
للبحر وولد فيه، وهنا هو يولد من جديد إذ تتشق الأمواج لتستقبله..

البحر.. الأزرق اللانهائي.. الأمواج.. هل هذه نوارس؟

إنه يقف وراء عجلة القيادة، ويترنم بصوت رخيم عال بأغنية
إنجليزية:

«عندما يصير القمر في المفزلة السابعة.. وعندما يتوازي المشتري
مع المريخ.. عندها سيهدي السلام الكواكب، ويبحر الحب بالنجوم..»
سألته في استمتاع عن مصدر هذه الأغنية..

«هي أغنية من مسرحية (هير).. قديمة جداً لكن كل من كان في
شبابه في السبعينات يعرفها.. عندما يتوازي المشتري مع المريخ
يحجب ضوءه الأحمر.. المريخ هو كوكب الحرب (مارس)، لذا فإن
اختفاء وجهه يعني السلام..»

«جميلة جداً.. برغم أن عشر سنوات كانت تفصلني عن المجيء
للعالم وقتها..»

يدور باليخت بين بعض الشعاب المرجانية ويضحك...

من جديد يدق الهاتف.. الشبكة سيئة جداً لكنني قادرة على تلقي
بضع كلمات:

«(هي).. أين أنت؟»

هذا مدير تحريرنا الهام.. أنا لست في القاهرة يا سيدي.. لكنني

كذلك لست في البحر الأحمر أتسلى وأمتحن الأقدار مع شباب ثري
وسيم.. أنا في الزقازيق عند أسرتي.. هذا الصوت؟.. إن الشبكة سيئة
هنا يا سيدي.. نعم.. تحت أمرك؟

«قصة عدنان الذي قضحناه هذا.. وعد بالانتقام كما تعرفين قبل
أن ينتحر.. هل وصلك خطاب منه؟»

قلت في مل:

«(يرجك سوف ينتقم لي).. لقد أرسل هذه الصيغة للجميع.. كلام
غير مفهوم..»

«نعم.. نعم.. (ضجيج الكتروني.. لم أسمع) محض هراء وهو
انتحر لأننا برهنا للناس على أنه كذاب.. لكن يجب ألا ننسى أن لدينا
من مات بسبب حلية تشبه الحمل وهو من برج الحمل (لم أسمع)..
هناك فتاة من برج السرطان توشك على الموت بالسرطان.. اثنان من
فريقنا هلكا في ظروف مريبة بحق.. لقد طلبت من الجميع أن يكونوا
حذرين.. هذا سخف بالطبع، لكنني قلق... والقلق يسمح لي بأن أكون
سخيفاً بعض الشيء..»

قلت في شيء من الخبث:

«أنا مولودة في الرابع من فبراير.. لقد مر عيد ميلادي فعلاً منذ
شهر أو أكثر.. هل تعرف معنى هذا؟»

منير يمد يده ليريحها على كتفي ثم يداعب بعض خصلات شعري..
أثني عني لأتخلص منه كي أتمكن من سماع المكالمات.. يقول المدير:

«لا أعرف.. لا أنكر تواريخ هذه الأبراج..»

«معناه إنني من برج الدلو.. كيف تتوقع لبرجي أن يقتلني؟.. هل
سيسقط دلو فوق رأسي وأنا أمشي في الشارع؟.. هل سيقوم لص

بإغراق رأسي في الدلو... في الحقيقة لا أعتقد أن هذا الخطر ينطبق علي...

هنا تلاشي صوته تماماً وصار الاتصال مستحيلًا..

أغلقت الهاتف.. هنا وجدت أن منير ينظر لي في دهشة ثم هتف:

«هل أنت من برج الدلو؟»

«نعم. وأكون سعيدة لو لم تقل دعابة سخيفة ما...»

لسبب ما يعتقد الناس أن الدلو شيء مضحك جدًا.. عرفت من هم من برج الثور، وبرغم هذا لم يتلقوا هذا القدر من السخرية..

قال في جدية:

«مصادفة غريبة.. لو كنت أعرف.. ربما زعمت أن هذا اليخت...»

هنا ارتجت الأرض وارتفع اليخت للسماء للحظة.. كان ارتطاما قويا بحق.. وسقطت على الأرض متحركة بينما سقط منير فوقي.. لقد ضربنا إحدى هذه الصخور المكونة من الشعاب المرجانية.. ضربناها بقوة عاتية ومن الواضح أن ما حدث لليخت مروع..

الآن صار وضعنا مثيراً للشفقة.. الطائر البحري الرشيق يسبح كالجثة فوق مياه البحر وهو موشك على الغوص.. أنفي ينزف وركبة منير ليست على ما يرام. البحار الشاب يبدو أنه كسر ساقه..

قال منير وهو يخرج جهاز الهاتف:

«أعتقد أننا نغرق.. وهذا الشيء اللعين كالجثة الهامية.. هلا جريت

جهازك؟»

لكنني كنت أعرف النتيجة.. المحمول لا يعمل أبداً عندما تتوقف حياتك عليه.

«هل تعرفين السباحة؟»

«لا..»

تعاون هو والبحار الشاب على نفخ قارب نجاة صغير والقياه في الماء، ثم دعاني إلى النزول فيه معهما.. في الوقت ذاته كان اليخت ينحدر أكثر فلم يبق إلا ثلثه فوق سطح الموج..

سألته وأنا اجلس في القارب الصغير المتأرجح:

«هل من خطط؟»

«لا شيء.. أعتقد أنهم سيفقدوننا وربما يخرجون للبحث عنا..»

أبي سوف يتصرف..»

ثم أردف في شيء من السخرية:

«الغريب أنني اعتقدت للحظة أن ركوبك فال حسن، ما دمت كهذا

اليخت من برج الدلو؟»

حوما العلاقة؟»

على اليخت الغسارق كنت ألح الشعار والاسم الأجنبي (أكوارايوس).. فقال منير باسمًا:

«أكوارايوس هو برج الدلو... ألم تسمعينني أغنية برج الدلو منذ دقائق؟.. أنا أتفاعل بهاء

هنا شعرت برجفة.. أعتقد أن الغرق وارد أو مؤكد.. لو غرقت الآن وبسبب هذه الحادثة فمعنى هذا أن من قتلني هو.. هو برج الدلو!.. ويكون كلام عدنان... ..

لا.. هذا هراء.. صحيح أن ثلاث ساعات قد مرت.. صحيح أن



من ١١ إبريل إلى ٢٠ مايو

نعم. نحن نفتقد (مي).. ربما بعد قليل
نفتقد (ثريا) كذلك..

مدير التحرير نادانا إلى غرفته الضيقة

الحرارة.. صحيح أن الشتاء لم ينته لكن غرقته دائما كالقرون.. قال لنا
إن (مي) قد غرقت في البحر.. كانت مع أحد رجال الأعمال الشباب.. هو
نجا طبعاً لأن رجال الأعمال لا يموتون أبداً.. لو سقطت علينا قنبلة
هيدروجينية فسوف تنجو حووصلات بكتريا التيتانوس ورجال
الأعمال.

أصابنا هذا بالذهول.. لم نعرف أن (مي) ذات مغامرات، كما لم
نعرف أنها بارعة إلى هذا الحد.. رجل أعمال؟.. من أين جاءت به؟..
يخت في البحر الأحمر؟.. يا لها من شيطانة صغيرة!.. الأغرب هو
أنها قبل وفاتها بساعات زعمت لمدير التحرير أنها تكلمه من
الزقازيق.. هو أقسم أنه سمع صوت موج وطيور بحر، لكنه كذب
أذنيه. الخلاصة أنه لح إلى أنه مصدوم مندهش وأنها خدعت الجميع،
لكنه برغم هذا يقول في آخر كلامه:

«دع الخلق للخالق..»

ثم قال إن هذه الوفاة طبيعية.. يعني بأنها طبيعية أنها لا تثير أية
أسئلة عن الأبراج فالفتاة كانت من برج الدلو، لكنها غرقت في البحر
الأحمر لا في دلو ماء.. لا يمكن أن نربط بين قصتها وقصة عدنان
بأي شكل.. من الطبيعي أن يموت بعض الناس أحيانا فلا يمكن أن
تنسب للأبراج كل وفاة تحدث..

هنا قال أحد الشباب المشاغبين من المجموعة:

الظلام يقترب.. صحيح أن السماء تتلون بالأزرق الداكن بسرعة
مخيفة.. صحيح أن الموج يعلو.. صحيح أننا محاطون بالشعاب
المرجانية.. صحيح أنني أرتجف.. لكن ما زال الغرق بعيداً جداً..
وفي الضوء الواهن سمعت (متير) يدندن محاولاً أن ينسى
مخاوفه:

«عندما يصير القمر في المنزلة السابعة.. وعندما يتوازي
المشتري مع المريخ.. عندها سيهدي السلام الكواكب، ويبحر الحب
بالنجوم.. وسيكون هذا هو فجر برج الدلو..»

برج الدلو..!

«قلت ما أسم الیخت یا سیدی؟»

نظر مدير التحرير في الأوراق أمامه وقال:

«اسمعه (أكواریوس) .. يبدو أن هناك قانوناً يحتم إطلاق هذا الاسم على كل سفينة أو یخت، مثلما تدعى كل كلبة (توسكا) وكل سيارة قديمة (عزیزة) .. إن بانیة (أكوا) هذه لها إیحاء ملثي واضح ..»

قال الفتى في لهجة ذات معنى:

«أكواریوس معناها (برج الدلو)»

تبادلنا النظرات .. هذه صدفة بلا شك، وإلا لكان معنى هذا أن برج الدلو قتل (می). الأمر لا یحتمل لغزاً ثالثاً ومزیداً من الحيرة .. لكننا برغم كل شيء فتحنا القاموس لتتأكد من أن كلامه دقیق ..

اسمي (صفوت) .. أنا من الطراز الذي يمكن أن تطلق علیه (شاب مليء بالأحلام)، وناثر صغير امتلاً رأسه بخليط من الأفكار الیسارية والبوهيمية واللیبرالية، لكنهم یقولون إنني شديد الكفاءة وبارع حقاً .. من المؤسف أن ینتهي هذا كله فجأة ..

حتى وقت قريب كنت أؤمن أنه لا وقت للحب أو الزواج لأنني في مرحلة تكوين الذات، وأعرف أنه لا شيء يمكن أن یبید جهدي الآن مثل الإعجاب بفتاة مجرد أن لها عینین حالمین، أو أن أسافر إلى دمیاط للبحث عن غرفة نوم مناسبة، وأن أبعد المللیم التي أحصل علیها في سداد أقساط، بينما أنا أبدها فعلاً في أشياء لیست أكثر نقعا لکتها أكثر إمتاعاً ..

قال المدير:

«نحن نعرف قصة عدنان النصاب هذا .. ونعرف أنه أرسل خطاب تهديد لكل واحد منا .. ما زلت أعتقد أنها كانت ركلة الجواد

المحتضر الأخيرة، لكن الحقيقة التي يجب ألا ننساها هي أننا نفقد أفراد جيشنا بسرعة ..»

قلت في عصبية:

«حوهل یعنی كلامك هذا أن الأبراج حقيقة؟»

«لا .. ما زلت موقناً بمنطقي وهو لا یتزحزح .. نحن رأينا وعرفنا أن الرجل نصاب فعلاً .. لا شك في هذا .. لكنني ما زلت أفكر في احتمال أن تطارد روح المتحر أولئك الذين جعلوه یفعل ذلك .. ثمة انتقام سروع آت من ما وراء عالمنا الذي نعرفه، وهذا الانتقام یصل إلیك حیثما كنت .. لا تنس أن معظم هؤلاء یتصلون بالشیاطین ..»

هتفت (یاسمین) زميلتنا الشابة:

«أرى أننا بدأنا نتكلم بلغته ومنطقه ..»

«الأحداث لا تترك لي منطقاً آخر ..»

رحت أفكر في الأمر .. لو صحت هذه النبوءة فأنا سوف ألقى نهايتي على يد ثور .. أنا من برج الثور الذي ینتمي له فروید ودافنیشي وهتلر .. بعضهم عباقرة لكن لا تتكرر أن فیهم لمسة من غرابة الأطوار وربما الخبال ..

ألقى نهايتي على ידי ثور أو حافريه .. ثور هائج یطار دني ويمزقني .. لكن ما هي فرصة أن یلقى المرء ثوراً في قلب القاهرة؟ .. أنا لم أر في حياتي ثوراً إلا في التلفزيون .. هناك تلك المهرجانات البرتغالية التي یركض فیها الثور حرّاً في الشارع ویطأ الناس، لكن لو فعلوها في مصر لقتلت المیکرویاصات الثيران بعد ثلاث دقائق .. لا تنس أن المجازات تلعب دوراً هنا .. ربما سيارة علیها رسم كبير لثور؟ .. أو رجل ضخم كالثور؟ .. ربما قلادة علیها ثور .. لكن من رأى قلادة علیها ثور؟ .. هناك یطل قصص مصورة اسمه (ثور) وهناك

رحالة نرويجي اسمه (ثور هايردال) لكن الفرصة شبه معدومة أن يقرر النزول إلى مصر، وأقابله وأستقره لدرجة أن يقتلني..

لا.. أنا لست من زبائن هذه القصة، ولن أموت بهذه الطريقة السخيفة.. ساموت بطريقة أخرى تماماً..

قالت لي (ياسمين) باسمعة:

«خذ الحذر من أي ثور تقابله»

قلت في مرآة:

«وأنت خذي الحذر من أية عذراء!»

هي نفسها عذراء، ولا أدري كيف يمكنها أن تتفادى أية عذراء أخرى.. يحتاج هذا الذي يطار دنا إلى قدر هائل من الخيال كي يدير لنا ميئات مناسبة..

الشقة التي اسكن فيها شقة مفروشة في (الزيتون). انقاسها مع ثلاثة آخرين ليسوا من اصدقائي ولا من عالمي، لكننا نتحمل بعضنا ومن حسن الحظ أنه لا يتواجد سوى واحد منا على الأرجح في أي وقت.

هناك طالب وهناك موظف وهناك مهندس كمبيوتر.. كلنا من الأقاليم وعلاقاتنا سطحية جداً لا تتجاوز تحية الصباح والمساء. أحياناً يحضر أحدنا من البلد بعض المأكولات فيدعو الآخرين إلى الطعام معه. طبعاً هناك مكتبتان هائلتان إحداهما مليئة بالكتب الدينية التي كتب على غلافها بخط مذهب، وهي تخص الموظف، بينما مكتبتي أنا تضم مؤلفات (ساراماخو) و(إبراهيم أصلان) و(أمل دنقل) و(صلاح جاهين) وبعض الكتب السياسية.. تتبادل الكتب لكن من الواضح أن كتبتي لا تروق له كثيراً.. إنه يقرؤها كي يُصدم وكي يكتشف أنه يقرأ الكتب الصحيحة..

أنا وحدي في الشقة الآن.. فرصة ممتازة إذن...

جاست إلى منضدة واشعلت لفافة تبغ وبدأت أكتب هذه الرسالة..

ما لا يعرفه الناس.. ما لا يعرفه الجميع هو أنني كنت أحب (مي) وكانت تزعم أنها تحبني.. من أجلها غيرت كل خططي.. من أجلها فكرت في الزواج.. أن أقنع أبي ببيع قطعة الأرض الصغيرة التي نملكها كي أؤثث بيتاً صغيراً..

من أجل مي تصالحت مع العالم، لكنها رحلت.. وليتها رحلت في ظروف تترك لي ذكرى حزينة رقيقة دامعة عنها، لكنها رحلت معلنة بوضوح أنها كانت تخدعني.. رحيها نوع من صيحة (عليك واحد) التي كنا نقولها لبعض ونحن أطفال.. يوم رحيها طلبتها عدة مرات حتى أغفيت رصيد الهاتف، وفي كل مرة تتكلم على أنها في بلدها مع أفراد أسرتها...

الآن فقط أرى حياتي فأدرك أنها صحراء قاحلة. هل حسبت يا أحقق أنك ستصير يوماً (هيكل) أو (مصطفى أمين) لجرد أنك تريد ذلك؟.. إن هي إلا تلك المقالات القصيرة التي لا تنال عليها أجراً ذا قيمة، والتي لا تحدث أثراً ينكر ولا يتذكرها أحد.. أمامك عشرات الأعوام بهذه الطريقة ثم تموت..

الشقة قذرة عطنة الرائحة.. هل تصورت أن تخرج من هذه الشقة إلى العالم الواسع؟.. أن يكون لك قصر وحمام سباحة كما نرى الصحفيين في السينما؟.. هل تصورت أن تذهب إلى موناكو لتغطي حفل تنصيب ولي العهد الجديد؟..

كنت مستعداً للرحيل، لكنني سوف أرحل بطريقة يذكرها الجميع.. إن العدد الأخير من مجلتنا على غلافه صورة كبيرة لثور اسود يهاجم مصارع ثيران. أخرجت غلبة الأقراص المنومة وسكبت ما فيها على الغلاف.. ثم بدأت أنتقي الأقراص مع جرعات قصيرة من الماء...

سوف تكون دعابة قاسية أخيرة. في المجلة سوف يعرفون أنني



من ٢٢ أغسطس إلى ٢٢ سبتمبر

اسمي (ياسمين) .. لا بد أنك تعرفني ..

لقد اجتمعنا في غرفة مدير التحرير، وقد

ازددنا عصبية.. وفاة (مي) و(صفوت) تخيم على جو الاجتماع وحقيقة أننا فقيدنا أربعة من جيشنا المحدود تثير الهلع في النفوس..

للمرة الأولى أدركنا أننا كنا اثني عشر واحداً ممن ساهموا في فضح ذلك المدعي (عدنان). هناك أربعة هلكوا في ظروف غريبة .. بقي ثمانية منا ..

قال أحد الفتية:

«(مي) لا علاقة لوفاتها ببرج الدلو .. هي علاقة مقتعلة بعيدة.. لربما قال أحكم كذلك إنه كان هناك دلو على ظهر اليخت الغارق ..»

قال مدير التحرير في صرامة وهو يشعل لفافة تبغ:

«اليخت اسمه (أكواربوس) من بين الأسعاء كلها»

«أنت بنفسك قلت إن اسم كل يخت أو باخرة هو أكواربوس .. الاسم شائع جداً»

«والذي انتحر ووضع الأقراص على ورقة عليها صورة ثور ..؟»

«هذه ليست صورة ثور .. هذا غلاف مجلتنا .. لقد كان عنده واستعمله بالصدفة ..»

قال مدير التحرير وهو ينفث سحابة دخان كثيفة:

«نحن ننسى ثريا التي تحتضر في المستشفى الآن .. ننسى وفاة (عصام) .. إن الأمر واضح جداً وحتى العميان يمكنهم أن يروه ..»

قتلت تقسي وأنتني كنت أضع الأقراص على صورة ثور عملاقة .. سوف يجن جنونهم.. هذا سيبدو لهم دليلاً لا شك فيه على أن نبوءة عدنان تتحقق للمرة الرابعة .. لقد قتله ثور .. بينما أنا وضعت هذه الصورة عمداً على سبيل لفت الانتظار لآخر مرة ..

إن يعود من معي في الشقة قبل ساعتين .. اعتقد أن هذا الوقت سيكون كافياً كي أرحل ..

قرص عاشر .. قرص عشرون .. إن وعيي قد بدأ يتبدد .. أعتقد أن الامتناس بذا .. في هذه الحالة العقلية المضطربة أقول لنفسي: ربما نبوءة عدنان صحيحة .. في النهاية هناك ثور فعلاً يصاحب موتي .. سواء تعمدت هذا أو فعلته عن غير قصد فالنتيجة واحدة .. ربما هو من زين لي موضوع الثور هذا ..

ثمة تفسير آخر للأمور: عندما أموت سيكون برج الثور هو الذي قتلني فعلاً .. ألسنت أنا من برج الثور؟ .. ألسنت أنا قاتلي؟ ..

عندما أنتحر أريد أن يحدث هذا لأنني أردته، وليس لأن هناك من أوحى به لعقلي الباطن ..

مصيدة حمقاء أنزلق لها بسرعة .. ربما أنا من أوقع نفسه فيها وربما هو عدنان .. لكنني فعلاً راغب في التراجع .. إن الطب قادر على إنقاذي .. كثيرون ينجون من ورطة كهذه خاصة أن الوقت ما زال مبكراً جداً ..

بيد مفصلة لا تشعر بحثت عن الهاتف في جيبتي .. طلبت رقم صديق لي .. تكفي كلمة واحدة تقول له إنني

صوت أنتوي مهنذب من الهاتف يردد: «نرجو إعادة تعبئة رصيدكم .. رصيدكم لا يسمح بإجراء هذه المكالمات»

ثم تصفح بعض الأوراق أمامه وقال :

«حتى القراء لاحظوه... هذه خطابات عديدة تتساءل.. منذ أسبوعين والمجلة لا تخلو من أخبار قتلانا.. لو استمررتنا بهذا للعدل لهلكنا خلال أسبوعين آخرين...»

قلت أنا ضاحكة :

«بل ستة أسابيع بقي منها أربعة!... هذه معادلة رياضية بسيطة...»

قال في غيظ :

«أنت رائقة البال يا (ياسمين).. أنا لا أمزح.. لقد حكيت القصة لرجال الشرطة فضحكوا كثيراً جداً.. لم يصدق أحد حرفاً.. طبعاً لن يصدقوا - وسط كل هذه المشاكل على كاهلهم - قصة رعب لطيفة عن أبراج تقتل الناس...»

ثم جمع أوراقه وقال :

«أنا من مواليد برج القوس.. لا أعتقد أن الفرصة متاحة لي كي أموت بقوس.. لكنني أطالبكم بالحدس.. يمكن بسهولة تخيل كيف يمكن أن يموت برج العقرب أو الأسد...»

قالت مروة في فخر :

«أنا من برج الأسد...»

«طبعاً لا أتصحبك بالذهاب إلى السيرك أو حديقة الحيوان إلى أن نفهم ما نحن فيه.. والآن تفرقوا...»

نهضنا جميعاً وخطرت لي فكرة لم نلاحظها من قبل.. من العجيب أن أبراجنا تختلف.. فعلاً نحن نمثل الأبراج جميعاً فلا يتكرر برجنا.. هذا يعطي إمكانيات ممتازة..

أنا من البرج الذي ينتمي له عالم الفسيولوجي الأشهر بافلوف والأديب تولستوي وصوفيا لورين.. والأسوأ أنه برج مايكل جاكسون.. أنا أنتمي لبرج العذراء..

لكن كيف يمكن لعذراء أن تقتلني؟

أنا من برج العذراء، وأنا كذلك عذراء.. ربما أنتحر كما فعل صفوت وبذلك أكون قد هلكت على يد عذراء، لكن لا نية لي في هذا العمل الأخرى، ربما على سبيل تحدي (عدنان) هذا لا أكثر.

أنا عذراء.. هذا خبر طيب للمحافظين ودعاة الفضيلة، لكنه ليس خبراً طيباً للفتاة على حافة الثلاثين مثلي.. لا أعرف السبب في أن أحداً لم يطلب يدي بعد.. لا يجرؤ أحد على قول إنني قبيحة.. لا أجرؤ على قول ذلك، لكنها الحقيقة التي تطالعني في المرأة دوماً.. لست مسخاً مثل ميديسا لكنني كذلك لست بالضبط نسخة من (حلا شبيحة)، لكن القبيحات يتزوجن على كل حال.. ليست هذه هي المشكلة.. ربما هو الفقر؟.. لا أدري.. إن الجورب الممزق يكفي لتطير أي عريس محتمل.. لكن أُمي تؤكد أن السبب هو لساني السليط وحده طبعي، وحرصني على عمل مشاكل حيثما ذهبت..

يقولون إن هذا التأخير طبيعي لأن سن الزواج للفتاة القاهرية صار خمسا وثلاثين سنة.. جميل جداً هذا الكلام بالمتوسطات، لكنه يذكرني بخبير الإحصاء الذي يضع قدمه في وعاء به ماء مثليج وقدمه الأخرى في وعاء به ماء مغل، ويقول إن متوسط الحرارة معتدل، لماذا يجب أن أكون أنا عند طرف منحني الجرس؟.. لماذا لا أرى من حولي واحدة تجاوزت السابعة والعشرين ولم تخطب أو تتزوج؟.. مهما عم البلاء تبقى حقيقة أنه يصيبك أنت هي الأكثر مرارة..

«لا أعرف ما هي يا إيريني.. صدقيني...!.. ربما تكون مؤذية..»

«خطر لي هذا لذا طلبت رأيك...»

«نصيحة.. تخلصي من هذه الشرانق فوراً.. ربما كان عليك أن تحرقها»

وقيل أن تكمل كلامها كنت قد غادرت الشقة.. أصعد درجات السلم ملهوفة.. لقد نجوت من موت أكيد..

هنا يفتح باب جارتنا (عزة)... إنها في الثلاثين وهي متزوجة لم تنجب بعد.. تقول إنها تريد أن تكلمني في شيء.. فيما بعد يا عزة.. أنا عائشة من العمل ومرهقة.. مشكلة هذه البناية أنك لا يمكن أن تصعد الدرج من دون أن يسمعك الجميع.. لكن عزة متوترة.. تصر على أن امنحها بضع دقائق..

(عزة) تهوى الفنانين لذا تعلق صوراً عملاقة ذات إطار لعدد هائل منهم.. في كل مكان تجد صوراً لمحمد منير وعمرو دياب وسيلين ديون ومادونا وأنغام.. تقول إن هذه سلواها الوحيدة ما دامت حرمت من الأطفال..

تجلس أمام التلفزيون وتواصل تقشير الكوسة التي كانت منهمكة فيها عندما سمعت صوت خطواتي.. يدها ترتجف على السكين.. يدها تنقلص.. تقول لي:

«أنا مصممة على الطلاق...»

«منذ عرفتك وأنت مصممة على الطلاق...»

يسيل الدمع من عينيها فيخيل لي للحظة أنها تقشر بعض البصل.. ثم تقول:

أنا أسكن في شبرا.. أصعد في درج بيتنا منهكة تعسة، هنا تستوقفني جارتنا المسيحية (إيريني). إنها من مني وهي تريد أن تريني شيئاً في الشقة.. لا بد أنني أعرف ما هو لأنني صحفية والصحفيات يعرفن كل شيء كما تقول.. إنها مذعورة قلقة...

أدخل شقتها المليئة بأيقونات العذراء وصور المسيح.. تركع على ركبتَيها جوار خزانة زجاجية صغيرة لتفحص شيئاً على الأرض، وتطلب مني أن أفعل مثلها..

هنا أرفع رأسي لأعلى.. تمثال السيدة للعذراء البرونزي موضوع فوق الخزانة.. فوق رأسي بالضبط.. يمكنني تخيل ما سيحدث... سوف أتحني عندها يسقط التمثال ليهشم رأسي.. طاح!! وسوف يجتمعون غداً في المجلة لمناقشة هذا اللغز.. تمثال العذراء قتل (ياسمين) فهل هي مصادفة؟

«لا يا إيريني.. لن أتحني.. قولي لي ما هناك...»

تمد يدها وتضع تلك الشرنقة الصغيرة على راحتي..

«هذه الشرنقة.. هناك عشرات منها تحت الخزانة.. ثمة بودة غامضة كونت هذه الشرانق وقد وجدتها اليوم فقط.. هل عندك فكرة؟»
أتأمل الشرنقة وأنا واقفة.. إنها تهتز ويبدو أن كلنا يحاول أن يتقربها ليخرج.. فما هو؟...

لحظة.. أنا أعرف أن البرقة تنسج الشرنقة حول نفسها لتصير.. لتصير.. لتصير عذراء.. كل طالب مدرسة يعرف هذا.. هذا الذي تحتويه الشرنقة هو عذراء تلك الحشرة المجهولة التي قد تكون خطيرة.. بل هي خطيرة...

ألقي بالشرنقة على الأرض وأصيح:

«السر الذي لا تعرفينه يا ياسمين هو أنني لم أنجب لصيب بسيط
جداً.. أنا ما زلت عذراء!»

أنظر لها في دهشة ورعب فتقول:

«نعم.. أهلي لا يعرفون بهذا وكذلك لم أخبر به أحداً.. أنا عذراء بعد
خمس سنوات من الزواج.. ظل يؤكد لي أنه يتردد على الأطباء وأنه
سيشفى ثم عرفت أنه لا أمل.. أنا لن أنتظر أكثر.. سوف اطالب الطلاق
فإن أبي لطلب رأي لجنة طبية.. سوف أقضحه إذا لزم الأمر.. إنني
شابة حسنة و...»

(ومن الحرام أن أظل مثلك).. هذا ما لم تقله طبعاً لكنني أكلعت
العبارة في ذهني..

المشكلة أن عزة تتوتر.. نظرة جنون في عينيها... يدها تنقلص على
السكين... إنها على حافة الانهيار التام.. عزة عذراء إذن!.. أنا أنتظر
الموت على يد عذراء.. فهل من موقف مناسب أكثر من هذا وحدي في
شقتها وسكين في يدها وجنون في عينيها؟

نجوت من سقوط تمثال العذراء على رأسي.. نجوت من تلك
الحشرة التي في طور العذراء والتي لا أعرف ما هي.. هل أنجو من
العذراء التي أمامي؟

أسألها وأنا ارتجف:

«أين زوجك؟»

«هذا الرجل الذي ليس رجلاً على الإطلاق؟»

هنا يفتح الباب ويدخل زوجها.. لقد كان يسمع الحادثة من
البداية.. لم أره من قبل أقرب إلى الثور الهائج منه الآن.. قميصه
مفتوح ونظرة مجنونة في عينيه.. اللعب يسيل من فمه وهو يصيح:

«إن أنت لا تكفين عن فضحي في كل مكان أيتها القذرة!»

تقول هي في ثبات من يرغب في بلوغ الأمر آخر مدى له:

«أنت لم تر القضيحة بعد!»

و تعتصر السكين أكثر.

«أترك السكين يا عزة!»

لكن النظرة المجنونة في عينيها لا تزول.. وهو أكثر جنونا.. يبحث
حوله عن شيء ثقيل فلا يجد إلا إحدى الصور ينزعها من على
الجدار.. صورة ثقيلة ذات إطار محترم.. يرفع ذراعيه فوق رأسه
ويقتفها بها...

الصورة تطير نحونا.. (عزة) تتحني في الوقت المناسب لكن
الصورة تواصل الطيران نحوي...

فقط لدي من الوقت ما يسمح بأن أدرك أنها صورة المطربة
الأمريكية (مادونا)...

لدي كذلك وقت كاف كي أتذكر...

إن مادونا في الثقافة الغربية معناها (العذراء)....

من ٢٣ نوفمبر إلى ٢٠ ديسمبر



فيما يتعلق بي الامر صعب فعلاً ..

يجب على تلك الشياطين التي تحرك

اللعنة أن تجد لي قوساً .. أنا من برج القوس

الذي ينتمي له بيت هوفن وديزني وسبيلبرج .. يبدو أنه برج العباقرة،
والأهم أنه برج صعب القتل جداً ..

أنا (رأفت) مدير تحرير هذه المجلة، ومن سأتواهم رجالي .. لا
أعرف إن كانت قضية عدنان هي السبب أم لا، لكن الارتباط بين
الحدثين قوي جداً والمصادفات لا تحدث بهذه السهولة. برج السرطان
لا يموت في حادث سيارة لكن يموت بالسرطان .. برج الدلو يموت
في يخت اسمه (برج الدلو) ... الخ ..

لقد غادرت المجلة بعد اجتماعي بهؤلاء الشباب وقد أذرتهم، لكنني
أعرف يقيناً أنني سأسمع خبر وفاة أحدهم خلال أيام .. أحدهم لكن
ليس أنا .. والسبب هو أنني أكثر منهم حذراً. خبراء المرور في الخارج
يقولون إن الشباب أكثر براعة في القيادة وانعكاساتهم أسرع، لكنهم
لا يقدرون الخطر. بينما الكهول أبطأ في كل شيء لكنهم يستشعرون
الخطر قبل حدوثه بفترة كافية .. لهذا تقع معهم الحوادث بدرجة أقل.
أنا كهول في الخامسة والأربعين، وأعرف الخطر جيداً عندما أراه ..
قوس .. من أين يأتون بقوس ؟ ..

سيكون علي أن أتجنب أي مكان يمارسون فيه لعبة الرماية .. لا
أنزل للشارع لو كان هناك قوس قزح .. يرغم أن تلوث الجو جعل هذه
الظاهرة مستحيلة الحدوث فلم أرها منذ كنت في سن التاسعة. لا

يوجد قوس نصر أعبر تحته فينهار فوقى.. لا أعرف اشخاصا لديهم
عيب خلقي في أقواس القدم. ولو قابلت أحدهم فلا أعرف كيف
ستكون نهايتي معه..

لا تنس أن هناك ألعابا لغوية مجازية لا بأس بها.. علي أن أتخاشى
كل ما يحوي اسمه كلمة arcus أو Arc..

ماذا يريد هذا المجنون (عدنان)؟.. هو يعرف أنه كذاب وأنا كنا على
حق عندما فضحناه.. لا أطيق هؤلاء الأشخاص المدللين الذين يرفضون
دفع فاتورة خطاياهم. أنا مجرم لكن الويل لمن يحاسبني على ذلك.. أنا
أقبل الانتقام فقط عندما يأتي من أشخاص أبرياء ظلموا بشكل واضح..

أنا كهل في الخامسة والأربعين وأعرف الخطر..

لكنني كذلك كهل يملك قلبا ينبض، والحقيقة المروعة هي أن المرأة لم
توجد في حياتي حتى شهرين مضيا..

اسمها (درية).. وهي في الأربعين.. أرملة جميلة بحق حتى إنني لا
أفهم كيف مات ذلك الأحق وتركها. وهي متعلقة بي.. عندها أنظر
إلى المستقبل فأراه جافا خاليا من متعة البيت والأولاد.. المزيد من
الأحداث والتحقيقات الصحفية.. انتصارات لن تظفر بجائزة بولتزر
على كل حال.. وجوه تأتي وتذهب.. تروح وتجيء.. عندها أدرك أنني
بحاجة إلى أنثى.. إلى زوجة..

(درية) ملتهبة العواطف، وتحمل جموح مراةفة في السادسة
عشرة من العمر. تمطرني برسائل البريد الالكتروني.. تمطرني
بالشعر.. ترسل لي أزهاراً من مجهول..

تصور أنا الكهل البدين أتلقى أزهاراً!.. غلو تركت نفسي لنفسي
لصنعت منها مربى لكن التهام الأزهار يبدو لي عملاً حيوانياً..

نعم أنا كهل بدين.. والسبب شرهي في الطعام. لو كانت هناك
صفة دقيقة في صفات برج القوس التي يكتبونها فهي العناد والشره
في الطعام..

عدت للبيت لأجد أن درية أرسلت لي هدية مغلفة، ومعها بطاقة
رقيقة تقول أشياء أرق.. لم أستطع القراءة بوضوح بسبب المصباح
اللعين الذي يتراقص ضوءه. مددت يدي وفتحت الهدية فوجدت أن
بداخلها شيئا ملفوفا أقرب إلى تمثال..

رحت أعالج الربطات نافذ الصبر..

هنا وجدت أنني أحمل في تمثال جميل جداً لكيوبيد إله الحب
الطفل عند الإغريق. يقف على قاعدة ويصوب قوسه برشاقة.. التمثال
من البرونز والقوس والسهم صنعا من مادة براقعة جميلة..

(إيروس).. (كيوبيد) الذي يطلق سهما ذهبيا فيسرك الحب، أو
يطلق سهما من رصاص فيعميك المقت..

هدية جميلة فعلاً.. من الواضح أنها قررت أن موعد الزواج قد
اقترب.. هن اللاتي يقررن ونحن نتظاهر بأننا نملك إرادة.. لكنني مع
درية لا أرفض أن أكون تابعا أبلة.. و..

كيوبيد.. وقوس!!!!

وثبت كالمسوع متراً في الهواء.. لماذا الآن؟.. لماذا أنا بالذات؟..
الأمر واضح. هذه هي اللعبة التالية. هذا السهم مسموم أو يحمل
جراثيم خطيرة تسبب تلوث الدم كما حدث مع (عصام)..

من أدراني أن التمثال كله ليس ملفعاً؟

أنا أثق بدرية لكن لا أثق في (عدنان)، واعتقادي أننا جميعاً قطع

شطرتج تتحرك على رقعة اللعنة النهائية.. فقط أعرف يقينا أن هذا الشيء لن يبقى في بيتي...

كان ضوء المصباح يتراقص بلا انقطاع مما جعل التمثال يبدو حيا..

قمت بلف الشيء بحذر حتى لا ألمسه، ثم دسسته في علبته.. وغادرت البيت..

عبرت الشارع شاردا الذهن فلم أقطن إلا وكشافات ساطعة تعمي عيني مع صوت فرملة عال جدا.. وثبت إلى الرصيف على حين سمعت سبابا أستحقه من السائق..

كنت شاردا الذهن فعلا.. من السهل أن أموت بهذه الطريقة ولسوف يكون تمثال القوس هو سبب وفاتي.. لن يتحدث أحد عن حماقتي.. يجب أن أكون حذرا..

أمشي في الشارع في الظلام في هذه الساعة المتأخرة. أتجه إلى كورنيش النيل.. أنظر حولي كي أتأكد أنه لا أحد هنالك.. أرفع يدي وأطوح بالهدية اللعينة إلى أبعد مدى ممكن.. أنتظر لحظة قبل سماع صوت (طش)..

لقد ذهبت الهدية ولن تعود..

التفتت لأبتعد عندما وجدت أنني أقف أمام رجلين لا يوحى منظرهما بالثقة.. متى جاء ومن أين؟.. يلوح أحدهما في وجهي بشيء أدرك على الفور أنه مطوأة قرن غزال..

«النقود والمحمول.. بسرعة»

الصوت الثقيل الغليظ الموحى بالبرشام.. لا شك في هذا..

هذا سطو مسلح.. (تثيتت) كما يسميه الشباب بلغة اليوم.. طبعاً لا بد من أن استسلم وأعطيهما ما يريدان، لكن من قال لي إن هذا كل شيء؟..

المحمول عليه أرقام مهمة جداً.. لكن لا مفر..

أمد يدي في جيبي وأناولهما ما أراهما..

لكنهما لم يكتفيا كما هو واضح.. فجأة أمسك أحدهما بياقة ستروتي ورفع المطوأة ليهوي بها.. ساموت هنا ولسوف يقول الزملاء: على الأقل لم يمت هذا بسبب قوس.. هم لا يفهمون.. لقد لاقيت حنقي بسبب الخلاص من قوس...

لكن الضربة لم تهو لأنني سمعت من يصيح:

«توقف»

رفعت رأسي لأجد سيارة دورية تقترب بأضوائها المميزة، وبابها ينفتح ليثب منه رجل شرطة ويركض نحونا.. بالطبع لم ينتظر الرجلان أكثر وانطلقا يركضان بما سرقاه..

«هل أنت بخير؟»

سألني الضابط الشاب الذي ترجل من السيارة فهزرت رأسي.. يهزني الشعور بأن ربع ثانية كان يفصلني عن الموت أو الرقاد في العناية المركزة للمستشفى..

«أنت لا تبدو على ما يرام.. أين تسكن؟»

وساعدني على ركوب السيارة..

إن للحب ضرائب غريبة على كل حال.. هدية السيدة (دريه) كادت تكلفني حياتي مرتين..

في النهاية وصلت إلى أول شارعنا فشكرتهم بشدة.. أعتقد أنهم سيجدون الرجلين وسوف يعود لي المحمول.. على الأقل قد تخلصت من التعثال اللعين..

كان الكهربائي الذي يقع محله عند أول شارعنا لم يخلق أبوابه بعد، فابتعت منه مصباحاً بدل ذلك التالف في شقتي.. لقد ابتعت منه المصباح الأول وهو من نوع غريب غير معتاد، وبالتالي ربطت نفسي به للأبد..

«هل تريد من يبدله لك؟»

«لا شكراً.. لو لم نستطع القيام بتبديل مصباح لما استحققنا أن نكون رجالاً»

في شقتي أحضرت السلم الصغير وتسلفت عليه.. مددت يدي وبدأت أفك المصباح القديم.. غريب هذا.. لا يبدو تالفاً لكن هناك أسلاكاً عارية كأن فاراً قد قرضها.. يجب أن أكون حذراً.. إن المفتاح مضاع لكنني أكره أن أنزل السلم مرة أخرى.. سوف أيدل المصباح في حذر دون أن ألمس شيئاً..

ها هو ذا المصباح الجديد.. هل هو مشرّوخ؟.. يخيل لي هذا.. هل جريبه الكهربائي لي؟.. لا.. كلانا نسي ذلك.. لكن لا مشكلة.. لو كان تالفاً فلسوف أعيد له قبل أن يغلق أبوابه..

مشكلة أن تعيش وحدك أنك لا تجد شخصاً يتأولك المصباح الجديد وأنت معلق على السلم!

هذا الطراز من المصابيح غريب فعلاً.. لقد شرح لي الكهربائي أنه نوع مستورد جديد شبيه بنوع قديم من المصابيح كان يدعى (مصباح القوس الكهربائي). مصباح القوس الكهربائي كان يعطي وهجا هائلاً

وكان يستعمل في آلات العرض السينمائي القديمة، ويعتمد على قارق الجهد بين قطبين.

على الأقل أنا أعرف يقيناً أنه سريع التلف..

قوس كهربائي أو قوس غير كهربائي.. سوف أستبدله في جميع الأحوال..

فقط لأتماسك جيداً وأدخل هذا الطرف في هذه الفتحة.....



من ٢١ مايو إلى ٢٠ يونيو

لا أثق في الأبراج وأرى أنه من السخف
أن نفترض أننا متشابهون لهذه الدرجة..
أعرف ألف واحد من برج الميزان مثلاً، لكن
أحدهم لا يشبه الآخر في شيء..

لكن هذه القاعدة -قاعدة أن الأبراج كلام فارغ- يتم خرقها بشدة
مع برجتي.. برج الثعلب والهولانية والأفكار المجنونة التي تصحو
صباحاً لتجدما سخيقة.. برج الطموحات التي لا تنتهي وأمراض
القلب وداء السكري والتوتر الدائم.. لا يمكن إلا أن تجدهم متشابهين..
(البرج اللي انت في موليدك، موليدك خلاص عزلوا منه).. هذه
الكلمات الطريفة كانت تقال في المقدمة الغنائية لمسلسل (برج الحظ)
الذي اشتهر باسم (شرارة).. نعم.. لو كان هذا بوسعي لطلبت أن أنقل
نفسي لبرج آخر..

هذا هو برج كندي ومارلين مونرو.. كانا حبيبين كما يقال، ومن
الواضح أن أتباع هذا البرج ينجذبون بشدة لبعضهم برغم كلام
الفلكيين..

اسمي (لياء).. أعتقد أنك شرفت بلقاء ثريا ومي وياسمين وراق
وعصام وصفوت.. كلهم -باستثناء (راق)- من الصحفيين الشباب
الذين كانوا يعملون دينامو هذه المجلة، وإنها لخسارة فاحشة..

لقد عرفنا بخبر وفاة (ياسمين) و(راق) في يوم واحد عندما كنا
جالسين مساء يوم الثلاثاء نضع الخطط، نتساءل عن سبب تأخر
مدير التحرير الهمام عن الظهور خاصة ورقم هاتفه لا يرد..

جاءت الأخبار في العاشرة مساء أن (ياسمين) توفيت في المستشفى.. مشادة مجنونة بين جارتها وزوجها الذي فقد صوابه فقفز زوجته بلوحة ثقيلة ارتطمت برأس ياسمين وهشحتها، وهو تطبيق حرفي لقولة (ما ينوب المخلص...) أو (يا داخل بين البصلة وقشورتها...).. أما جار رَأَت الذي يملك نسخة من مفتاح شقته فقد فتح الشقة ليجد رَأَت ميتة.. لقد صرعت الصدمة الكهربائية وهو يحاول استبدال مصباح في السقف.. لا تنس أنه يعيش وحده..

قبل أن نستوعب الخبر هتف أحد الشباب معنا:

«هل تفهمون معنى هذا؟! لا علاقة لموتهما بالأبراج!.. ياسمين من برج العذراء لا برج اللوحة، ورَأَت من برج القوس لا برج الكهرباء!»

دوت ضحكة عصبية، ثم تذكرنا أين نحن وماذا نفعله. هكذا انفجرنا في البكاء.. تهاوت الفتيات يبكين في هستيريا بيتما وقف الشباب ساهمين.. نحاول تذكر رَأَت وكيف كان يجمعنا ويصدر لنا التعليمات..

غداً سوف نحضر جنازتين.. سوف أوصل أكثرهم بسيارتني اللادا العتيقة فهم من الشباب معتادي الميكرو باص كما تعلم..

وعندما استطعنا أن نرتب أفكارنا، بدا واضحاً لنا أن وفاة هذين لا يمكن أن تكون صدفة.. مستحيل.. لكنها كذلك وفاة لا ترتبط بأي برج كما حدث في أربع الوفيات السابقة..

هل معنى هذا أنه لا لعنة هناك وأنتا أحرار؟..

لكن أعطني تفسيراً من فضلك لكون ستة من جماعتنا يلفظون أنفاسهم في هذه الفترة القصيرة؟.. (ثرياً) لم تحت لكن الأمل شبه معدوم كما يقولون..

هذا الشعور الغريب بأن عددنا يتناقص وأن دور أحدنا قادم يشعرك بالذعر فعلاً.. وقد طلب منا رئيس التحرير أن نجتمع عنده.. طلب هذا من فريق العمل الذي تلقى تهديدات من عدنان.. لقد بقي منا ستة.. معنى هذا أن نصفنا قد هلكوا..

في مكتبه الفاخر الذي يشعرك بأنك في مكتب وزير إعلام، وحيث تفوص قدماء مترين في البساط، تذكرت عبارة ساخرة قديمة عن أن المشكلة التي أنت فيها تتناسب طردياً مع سمك السجادة في مكتب المسئول الذي استدعاك. مجلتنا تحقق الكثير من المال لكنه لا يصل للصغار كما هي العادة، لذا كانت مكاتبنا فقيرة جداً.. من الصعب أن تصدق أن هذا المكتب موجود في ذات البناية. كان رئيس التحرير متحفظاً وهو يعزينا في زملائنا، حتى أنه كف عن تدخين السيجار دقيقة كاملة. قام بتعيين (محمود الشربيني) مدير تحرير بدلاً من (رَأَت). وقال لنا إنه يعرف القصة كاملة لكنه لا يصدق حرفاً..

«لقد قعت بإبلاغ الشرطة وهم يعدون باتخاذ التدابير اللازمة»

وهو ما يعني ببساطة أن شيئاً لن يحدث. الشرطة ليست رائقة المزاج إلى هذا الحد.. هؤلاء ستة سوف يموتون بأي أراجهم.. لا نعرف كيف ولا متى ولا أين.. فقط نرجو أن تحافظوا عليهم!

ثم طلب منا اتخاذ واجب الحذر، وأخبرنا بأن هناك حفل تأبين سيقام لشهداء الصحافة.. الخ.. الخ..

عندما انتهى الاجتماع خرجنا.. إنها التاسعة مساء، وأنا جائعة فعلاً..

كان داء السكري الصبوي جزءاً مهماً في حياتي منذ السادسة.. تعلمت كيف أتحكم في شهيتي وكيف أنظم حياتي، وقد ثقيلت المرض كطبيعة أخرى لي ربما تعطيني بعض التميز..

كنت أفكر في هذا وأنا أدير محرك سيارتي اللادا العتيقة .. أمامي رحلة نصف ساعة حتى أصل إلى داري حيث ينتظرني العشاء ..

يدخل (حسن) في حياتي .. قابله بعد تخرجي من كلية الإعلام، وكان هو الشخص الذي اعتقدت أنني قادرة على استكمال حياتي معه .. من الصعب أن تتصور المرأة أن تمضي حياتها مع رجل ينام ببيجامة مخططة ويصحو منكوش الشعر نامي اللحية .. يتجشأ ويدخل الحمام ويلعب في أصابع قدميه ويلتهم القول كالحمير ويكون عليها أن تتقبل سخافات الرجال الأخرى منه ..

لا .. لا بد من الحب كي تتحمل المرأة هذه التضحية، وأنا أحببت (حسن) وبدأ أنه يحبني بحق .. لم يكن أحداً يعانني مشاكل مادية. نحن من القلائل المستريحين فعلاً، ولديه شقته وأنا أملك سيارة وأهلي أثرياء نسبياً .. لهذا كان طريق الزواج مقترحاً لم يقلقه إلا مجموعة من جزر (لاتجرهائز) اللعينة. لقد حانت لحظة الحقيقة. أردت أن نبدأ بداية صحية. أخبرته بأنني مصابة بالسكري وأنتني أتعاطى العلاج بشكل منتظم، وهناك ضوابط صارمة على حياتي .. حملي قد يكون مشكلة، وقد أنقل المرض لذريتي برغم أن طبيبي يقول إن هذا لن يكون ..

أرملق معالم الطريق في الظلام وأنا أتنكر ..

لقد تغير (حسن) عندما أخبرته .. امتقع وجهه وبدأ مرتبكاً .. ثم بدأ يبتعد .. يبتعد .. يبتعد ..

هكذا يبتعد الرجل بطريقة تقول بصوت خفيض (انتهى الأمر .. أنا لن أتحمّل وضعاً كهذا). كان علي أن أتوقع هذا وأقبله. لقد أخبرته على سبيل التخيير وكان من حقه أن يقول نعم أم لا .. لكنني لم أقبل هذه ال (لا). بدت قاسية جداً ..

ومنذ ذلك الحين هو زميلي في المجلة وأراه يومياً، لكن علاقتنا التي كانت (نحن) صارت (هو وهي) ..

عجلة القيادة عتيقة جداً .. هناك مشكلة ما ..

لحسن الحظ هناك تلك الورشة المفتوحة. هناك إطارات معلقة ومتفاح وكوريك .. توقفت هناك ونظرت خارج النافذة في ملل، فظهر ذلك الفتى التحيل الأسمر ذو العينين الخضراوين والضحكة المريبة الخبيثة، متسللاً .. قلت:

«هناك مشكلة في الإطارات ..»

شكله لا يبعث الطمأنينة في النفس ولا أحب أبداً أن أتواجد معه منفردة. إن لم يكن ممن يغتصبون النساء. وأنا أستبعد ألا يكون كذلك. فهو يسرقهن ..

دار حول السيارة ثم تفحص العجلة الأمامية اليمنى وركلها وقال إنه لا بد من فكها لفحصها. ترجلت من السيارة ووقفت أراقب المارة بينما هو يجلب الكوريك ويرقع السيارة ثم يفك العجلة بسرعة احترافية .. يدحرجها على الأرض إلى حيث ذلك الحوض ويفمرها فيه، ويراقب المشهد ..

«متقوية .. لا بد من لحامها ..»

أوف .. ليس في هذه الليلة وأنا أموت جوعاً ومتأخرة أصلاً، لهذا وقفت في سأم أراقبه وهو يلحم الإطار .. ثم قلت له إنني ذاهبة لايتاع شيئاً ..

مشيت بضع خطوات حتى وجدت كشكاً مفتوحاً فابتعت علبة عصير وبعض البسكويت .. ووقفت التهم هذه الأشياء في جشع حتى أن صاحب الكشك ظل يرمقني في دهشة .. أخيراً أشعر أن هذه الكلية التي تتبج في أحشائي قد شيعت ..

أخيراً انتهيت فعدت لأجد العجلة في مكانها والفتى داخل الورشة..
وكان قد أنزل الكوريك وأبعد أدواته..

ركبت السيارة جالسة خلف عجلة القيادة. جاء الفتى ذو العينين
الملونتين فنأولته بعض الجنيهات في كبرياء تعرف الأنثى كيف
تتعامل بها.. وسألته دون انتظار إجابة:

«هل كل شيء على ما يرام؟»

فتح فمه ليتكلم لكنني أدبرت المحرك وانطلقت بينما هو يرمقني
بغباء..

أدبرت المقود لأدور حول المنحنى.. هناك في الشارع الخلفي شيء
المقفر وجدت الفتى الذي قام بإصلاح العجلة يركض نحوي.. كان يرقع
يده، فلم أقهم ما يريد لكنني اندهشت لكونه سبقتني بهذه السرعة.. لقد
تركته خلفي منذ دقيقة وها هو ذا ينتظرني عند المنحنى..

بصرامة شعرت بذعر.. عودته هذه مريبة وهو أكثر إثارة للريب..
لن أتوقف أبداً..

ضغطة على البنزين وتتركين كل الأخطار خلفك ببضعة
كيلومترات في نصف دقيقة.. لهذا تحب الفتيات السيارات، ولهذا
ابتاعها لي أبي..

لم أشعر براحة إلا عندما انطلقت السيارة على طريق المحور،
وبسرعة عالية تريح أعصابي.. السيارة تتنفس أخيراً بعد ما أو شكت
على الموت اختناقاً في زحام القاهرة..

(حسن) قد تخطى عني وأنا أحبه..

سوف أنكر هذا للأبد..

والأدهى أن أصدقاني الآخرين يموتون.. إن لدي رصيذاً هائلاً من
الحزن يمكن أن أستمتع به وحدي في الفراش قبل النوم..
أشعر أن..

ما هذا الذي يطير ناحية اليمين؟

أراه في المرأة يتدحرج على الطريق خلفي.. ثم.. ماذا يحدث؟..
ماذا أصاب هذا المقود؟.. إن العربة لا وزن لها.. خفيفة جداً كأنها
ريشة في مهب الريح..

أنا عاجزة عن التحكم.. هناك شيء ما خطأ.. شيء ما خطأ..

إنني أطيبيبيير..

أطيبيبيير...

ماذا يحدث؟

من ٢٦ ديسمبر إلى ١٩ يناير



حدث عبثي فعلاً ذلك الذي أودى بحياة
(لمياء) .. حادث جدير بدراما اللامعقول ..

الفتى (جابر) الذي قام بإصلاح عجلة
السيارة كان أحرق وقد تكلم كثيراً وملا

الدنيا صراخاً .. هكذا عرفنا القصة ، ولو لم يتكلم لما عرفنا أي شيء ..
الحكاية أنه قام بإصلاح الإطار ووضع في مكانه ثم لم يحكم ربط
المسامير أو .. على حد تعبيره المهني - (يحرِّق عليه) .. هناك من ناداه
لشيء ما ، وهكذا ترك السيارة وذهب .. عادت هي لتجد أن أخاه التوأم
(ماهر) يقف هناك فافتترضت أنه هو وقد أنهى عمله !! .. دفعت له
بعض الجنيهات ثم انطلقت بالسيارة قبل أن يشرح لها ، وحاول الفتى
الأول (جابر) أن يستوقفها عند الناصية فلم تعبأ به .

الآن يمكننا تخيل المشهد ولمياء تنطلق بسرعة مائة كيلومتر على
طريق المحور .. تتفصل العجلة الامامية وتطير لتجد أنها تندفع على
ثلاث عجلات .. لا مجال للفرامل ولا فرصة لشيء سوى أن تنقلب ..

لم تقطن لشيء إلا عندما تذكرت أن (لمياء) من برج الجوزاء !
هنا فقط صحت :

« برج الجوزاء .. (جابر) و (ماهر) توأمين !.. لقد لقيت مصرعها
على يد توأمين .. على يد جوزاء »
تعالى الهمس وساد التوتر ...

لا سبيل للفرار من هذه اللعنة .. سوف تظفر بكل واحد فينا .. إنها
محكمة القدر ..

وانفجرت مروة صارخة في هستيريا:

«أنا من برج الأسد... سوف يلتهمني أسد...! أعرف هذا..»

قلت لها في غيظ:

«اللجنة لا تتصرف بهذه الطريقة الطفولية المباشرة ولا لنجونا جميعا.. إنها تتلاعب بنا وتعتمد على المجاز والاستعارات والألعاب اللفظية...»

الآن كانت أخبار ما يحدث قد تسربت إلى الصحف وبدأ الناس يتكلمون عن انتقام عدنان الرهيب. ليس هذا ما نريده.. نحن أثبتنا أن الرجل نصاب لكننا لم نقل إنه لا يمارس السحر الأسود... هو ليس عرافا لكنه يملك القدرة على الانتقام عبر الأبعاد... جاءتنا بعض مكالمات هاتفية بعضها يعرض العون وبعضها يتشفى وبعضها يعزينا.. لكننا كنا في حالة لا تسمح لنا بالتعبير عن الامتنان..

اسمي (حسن أبو غصيبة).. صحفي شاب متحمس لو كنتم قد لاحظتم هذا.. ارتبطت بقصة حب طويلة مع لياء، انتهت بأن صارحتني بأنها مصابة بداء السكري.. كانت تخبرني كي لا تخدعني في شيء.. بدا لي أنه من الحكمة ألا أبدأ حياتي بالارتباط بهذا المرض فأنا مسئول عن أطفالتي القادحين، خاصة أن أبوي مصابان بهذا الداء..

(لياء) كانت تعطيني حرية اتخاذ القرار، وقد اخترت.. لكنها لم تغفر لي ذلك قط.. هذه طريقة غير عادلة مثل أن تخير شخصا بين أكل البامية أم السبانخ. فإذا اختار السبانخ صحت في اشعثزان: حمار!!

أعتقد أن الموضوع انتهى وأنها لم تعد تذكرني.. يجب أن افترض هذا كي أتمكن من النوم ليلاً.. أصعب شيء في العالم أن يموت

شخص حائق عليك.. هذه هي الطريقة المثلى كي يعذبك الشعور بالذنب وتصاب بشلل نصفي..

والآن كيف سأموت أنا؟

من الغريب أن يستسلم المرء بهذه البساطة لخرافة. هذا هو الجزء الأول من النهاية.. أعتقد أن العقل الباطن يتكفل بالباقي، وقد رأيت حلقة من برنامج قاريء الأفكار الشهير (ديرن براون) يطلب فيها من خبيري إعلانات أن يصمم حملة دعائية لمشروع خاص بالحيوانات الأليفة. وقد عكف الرجلان على تصميم ملصق جميل.. في النهاية يفاجئهما بأنه رسم اللصق قبل أن يضعها في ملصقها خطأ واحداً.. الفكرة هنا أنهما رسما بالضبط ما أراد أن يزرعه في ذهنيهما من معالم الطريق وهما ذاهبان لمقابلته. هذا هو ما يحدث هنا.. ربما اختارت لياء لا شعوريا فني إشارات يعمل لديه تويمان.. ربما أصيبت ثريا بالسرطان لأنها أرادت ذلك.. من يدري؟..

إنه تفسير صعب لكنه أسهل من القول إن لعنة ذلك المشعوذ تطاردنا..

أنا أنتهي لذات برج الرئيس الأمريكي نيكسون والمطرب ألفيس بريسلي والملاكم محمد علي كلاي.. هل هذا يعني شيئا ما؟.. لا أظن..

عدت إلي داري حيث أعيش مع أبي وأمي وأخوين أصغر.. استقبلتني أمي على الباب بوجهها المسن الطيب.. لو سارت الأمور كما نتوقع فمن الواضح أنها ستفقد ابنها خلال أيام..

لكني لا أصنق.. أعرف أن الجميع سيموتون باستثنائي أنا.. لا يمكن أن يكف وعيي عن التواجد، ولنسوف أرى نهاية العالم وأرى المحيطات تغيب والبراكين تنفجر وأرى كل البشر يهلكون باستثنائي أنا..

تقول لي أُمِّي :

«تعال لثري ما أرسله خالك.. إنه على سطح البناية»

خالتي ؟.. يرسل شيئاً؟.. على السطح؟.. هدايا قليلة جداً تلك التي توضع على السطح من بينها النديش ولكن لدينا واحداً.. صعدت درجات سلم البناية التي تملكها وقلبي يتواثب، فلم أدن من باب السطح الخشبي حتى كنت قد خمنت ما هناك، وجاء الصوت الذي يقول (ماااا) ليؤكد لي إنني عبقرى..

(مااا) كما يسمعها العرب، و(يااا) كما يسمعها الغربيون. اللهم أن هذا الشيء يقف هناك على السطح مربوطاً بحبل من ليف إلى السور، وهو ينظر لي نظرة شبه ساحرة..

نسيت أن عيّد الأضحى اقترب وأن خالي يرسل لنا الخراف والجديان قبل العيد بفترة كافية، لأن جزاري القاهرة غشاشون.. هو يفضل أن يرسل جدياً لأنه بلا فراء كثيف، وبالتالي فاحمه شبه خالص، على أن يذبحه جزار خبير حتى لا يتلوث لحمه بالشعيرات الدقيقة.. خالي من الطراز المولع بهذه التفاصيل التي تثير غيظي، كأنها سر الحياة ذاته..

المهم أن هذا الجدي يقف هناك جوار السور.. جدي حقيقي ضخم الجثة له لحية، وهو يمضغ تلك الأشياء الغامضة التي لا تكف المواشي عن التهامها.. نظرة شيطانية على وجهه فلا عجب أن المسيحية الأوروبية ربطت التيس بالشيطان، وقيل إن هذا كي يتخلى الناس عن عبادة (بان) إله المراعي الوثني.. هذا شيطان حقيقي.. اقتناء جدي أو ماعز في القرون الوسطى كان يكفي لإحراق صاحبه، لأنهم كانوا يفترضون أنها ساحرة تعاشر الشيطان، ولا أرى في هذا قسوة..

طبعاً أنت خمنت أنني من برج الجدي.. لهذا أصابتني نوبة من الهستيريا :

«هذا الشيء لن يبقى هنا لحظة واحدة»

«هل جئت؟»

«لا أستطيع الشرح.. لكن لا بد من التخلص منه»

سوف يقتلني.. لا أعرف متى ولا كيف لكنه سيفعلها.. جدي في هذا الوقت بالذات ليس له سوى معنى واحد..

تشاجرت ولعبت دوري بنجاح تام: أن أقنعهم أنني مجنون تماماً.. وفي النهاية قال أبي في حزم: لا طريقة للتخلص منه.. لو كنت جباناً إلى هذا الحد فعليك أن تبيت عند أصدقائك..

قضيت الليل بلا نوم تقريباً لأن غرفتي تقع تحت موضع السطح السعيد الذي يقف فيه ذلك المخلوق. طيلة الليل أسمع صوت حوافره تضرب الأرض وأسمع ذلك الثغاء الكريه. أتصوره وقد مشي على قدميه الخلفيتين كما نرى في صور الشيطان، فقط صارت عيناه حمراوين وهو ينزل الدرج قاصداً غرفتي.. حوافره صارت مخالب حادة طويلة كالسكين..

إنه هناك.. ينتظرني..

في الصباح غادرت البيت مبكراً.. ونظرت لأعلى في حذر.. كل الخراف المربوطة على السطح تقطع حبالها وتنتحر قبل يوم العيد.. هذا خبر ثابت في الصحف كل عام.. سوف يقطع حباله ثم يثب من أعلى ليسقط فوق ليهشمني.. هذا هو السيناريو الأرجح..

ماااا.. ماااا.. كذا ناداني من أعلى.. فصاح صبي يعشي في

الشارع: «مقيش برسيم اسكت يا بهيم».. ياه!.. لم أقلها منذ كنت في
التاسعة من عمري.. شعور غريب يفتابني وأنا أتذكر طفولتي بينما
العمر يدنو من نهايته كما هو واضح..

عدت من العمل في ساعة متأخرة من الليل.. لم أخبر أحد من
الزملاء بهواجسي حتى لا يسخروا مني.. عدت للمنزل فصعدت في
الدرج.. هنا سمعت ضوضاء أعلى من اللازم قادمة من أعلى.. رفعت
رأسي وأنا أتوقع أن ينقض هذا الجدي علي ليمزقني..

كان ذلك الرجل ضخماً الجثة مخيف المنظر يركض على السلم
قادماً من أعلى.. إنه مبلل بالعرق يلهث، وقد وضع على كتفه شيئاً
ثقيلاً في جوال.. ومن خلفه يركض رجل يماثله في الحجم يحمل
بأقي الجوال على كتفه.. أحدهما كان يحمل سكيناً ضخمة من سكاكين
الجزارين..

تم اللقاء بيني وبينهم في منتصف طريقي إلى شقتنا، وفي الظلام
شبه الدامس..

هذان لصان سرقا الجدي ومن الواضح أنهما نذبا له لأنه لا يصدر
صخباً ولأن ثيابهما ملوثة بالدم.. توتر الرجلان وأخرج أحدهما
السكين الضخمة يلوح بها في وجهي موشكاً على الضرب، لكنني
ترأجعت لالصق ظهري بالجدار وصحت:

«لا تفعل شيئاً أحقق.. خذهُ وارحل!.. صدقني أنا أرغب في
الخلاص منه!»

هذان المجنونان لا يعرفان أنهما فعلاً أفضل شيء ممكن.. لقد تسللا
من باب البناية عندما حل الظلام ولم يجسداً عسراً في فتح باب
السطح.. المهم أن يرحلا في سلام ولهما تحياتي وشكري..

نظرا لي في عدم تصديق ثم هرعاً ينزلان في الدرج.. توقعا أن
أصرخ لكنني لم أفعل طبعاً..

وسمعت صوت سيارة تتحرك.. طبعاً هناك سيارة كانت
تنتظرهما..

واصلت الصعود إلى السطح لأرى ما حل به.. لقد أغلقا الباب
خلفهما كما هو واضح..

هنا كان أول شيء طالعني هو الجدي اللعين!

كان يقف هناك في ضوء القمر ينظر لي وقد قطع الحبل الذي
يربطه.. وترأجعت في ذعر وأنا لا أصدق.. هنا انقض علي بلا تردد..

جريت كما لم يجر أحد من قبل.. كان في حالة هياج غير عادية..
وبصعوبة استطعت أن أثب إلى باب السطح وأغلقه خلفي بينما ارتطم
القرنان به بقوة..

ووقفت وظهري للباب ألث..

إنني لم يأت الرجلان من السطح.. جاءا من شقتنا!.. وما كانا
يحملانه على ظهرهما هو جسد بشري وليس الجدي.. جسد بشري
هو جسد أبي أو أمي أو أخي... وأنا تركتهما يفران!
رباه!.. كانا ملوثين بالدم!

كان قلبي يتواثب في صدري بلا توقف وأنا أنزل الدرج بقدمين من
عجين.. ترى ماذا ينتظرني في الشقة وأي مشهد سآراه!

ربما لم يقتلني الجدي لكنه سبب أعظم حماقة ارتكبتها في
حياتي.. لكن لندع التفكير جانباً ولنر ما حدث في الشقة أولاً..



من ٢١ يوليو إلى ٢٠ أغسطس

كنت واقفة في غرفة النوم أبذل ثيابي
عندما دق جرس الهاتف المحمول. وقفت
بقميصي الداخلي وقميص النوم في يدي
ورحت أصغي لما يقوله الطرف الآخر..

دنوت من المرأة وتأملت وجهي.. لكنني لم
أكن أرى شيئاً لأنني كنت هناك مع (حسن أبو غصيبة).. (حسن) الذي
أخبروني أنه تعرض لحادث..

هناك مجهولان تسللوا للبناية وقتلا اثنين من أفراد أسرته. الغريب
أنهم اصطدما به على الدرج وهدداه بالسكين وهربا وهو لم يبذل
جهناً في مطاردتهما..

يقولون إنه انتقام بسبب شيك بدون رصيد كتبه أبوه. أبوه ثري
لكنه.. ككل الأثرياء.. يعيث أحياناً حيث لا يجب أن يعيث، وقد اصطدم
بخصم قوي صمم على الانتقام. هناك من قالوا إن الخلاف كان على
قطعة أرض استولى عليها الأب.. لا أحد يعرف وحسن غير قادر على
إعطاء صفات الرجلين بدقة لأنه في حالة انهيار عصبي.. لقد وجد
مذبحة في الشقة عندما دخلها..

فقط هو في المستشفى يردد بلا انقطاع:

«الجدي حي!.. الجدي حي!»

كان الذي أخبرني بهذا كله هو زميلنا حاتم..

«وهل هناك جدي في القصة؟»

«للأسف نعم!.. هناك جدي أرسله خاله لهم وقد أصيب (حسن)

بذعر جهنمي عندما رآه..»

«على الأقل لم يسبب الجدي هذه الكارثة..»

«نعتقد هذا.. والاهم أن (حسن) لم يمت.. أقاربه هم الذين ماتوا..
يبدو أن اللعنة ليست دقيقة تماماً..»

لكن هذا أسوأ.. نظرت إلى الخلف حيث جلست أختي (نتيلة) على
الفراش.. من قال إنني أفضل موتها على موتي؟.. يبدو أن (حسن)
كان أسواناً حظاً.

أغلقت الهاتف ويدي ترتجف.. ونظرت إلى الخلف فوجدت أن
(نتيلة) تنظر لظهري في ثبات.. سألتها عما هنالك.. نهضت وأشارت
إلى بقعة ما بين لوحى الكتف وقالت:

«ما هذه؟»

لم أقهم.. لذا أتيت بمראה أخرى واستعملت المرآتين لتفحص
ظهري.. لا يوجد شيء سوى بقعة باهقة اللون بين لوحى الكتف..
بقعة بحجم كف طفل.. هذا لا شيء.. أنا محجبة ولن يرى أحد ظهري
أبداً.. حتى لو تزوجت فالزوج الشرقي لا يرى جسد امرأته على
الأرجح.. أنا لست رائقة المزاج لهذه التفاصيل..

قلت في غيظ:

«فعلاً مشكلة.. لن ألبس ثوب السهرة (السواريه) عاري الظهر..
خسارة!»

ثم ارتديت ثيابي وغادرت الغرفة..

الآن أنا في مشكلة حقيقية.. اللعنة تطاردنا ولم يبق أمامها سوى
أربعة.. كانت فرصة أن تكون أنت القادم هي واحد على اثني عشر..
الآن هي الثلث...

أنا مذعورة.. نسيت أن أخبرك أنني من الطراز الهستيرى العصائى
الذي يخاف من شيء..

كيف يمكن أن أموت؟.. تذكرت ما قاله لي مدير التحرير الأستاذ
رائت: «طبعاً لا أتصحبك بالذهاب إلى السيرك أو حديقة الحيوان إلى أن
نفهم ما نحن فيه». الغربيون يقولون: لا يمكنك أن تكون حذراً أكثر من
اللازم.. وهذا ينطبق على ذلك البائس لأنه مات بصدمة كهربية وهو
يبدل مصباحاً في شقته. أئذرنى لكنه لم يكن حذراً لهذا الحد..

اسمى (مروءة).. لا بد أنك تعرفنى الآن.. أكتب بعض المقالات
القصيرة التي لا خطر منها مثل (أفضل طريقة لتقشير البصل بلا
دموع) أو (ماكياجك في المساء). وأحياناً أكتب حلولاً لمشاكل القراء
الذين لا يعرفون أن (مدام سوزي) التي ترد عليهم ليست سوى فتاة
في الرابعة والعشرين نحيلة مذعورة لا تعرف أي شيء عن الحياة..

أنا من برج الأسد.. برج بونايرت ويرانارد شو وعمر الخيام..
مؤخراً عرفت أنه برج (أرنولد شوارزنجير) الذي كان نجم أفلام
الاكشن قصار عمدة كالفورنيا.

لكني لم أرث أياً من طباع الأسد، فأنا مترودة خائفة هشة.. أخاف
كل شيء ولا أقدر على اتخاذ قرار، وثقتي بنفسى معدومة.. ربما لأن
أبي كان قاسياً ولأن أخوتي ذكور أقسى منه.

اتصل بي (مدحت) خطيبى يعرض علي أن تخرج قليلاً..

أنا أخشى الخروج فعلاً، لكن الحقيقة التي لا تنكر هي أن أكثر من
ماتوا ماتوا في بيوتهم.. هكذا قررت أن أفلتها وأتشجع. أخبرت أمي
أنني خارجة مع مدحت.. لا أعرف البرنامج على الإطلاق..

كانت الخامسة عندما ظهر مدحت. (إنه معلم شاب حديث التخرج،

ولم يبدأ بعد ذلك النشاط المعروف بالدروس الخصوصية.. هو غير معروف بعد، وهو على العموم يؤمن بأنه على درجة من النحس بحيث سيكون المعلم الوحيد الذي يفشل في الكسب من الدروس الخصوصية.

«لو صرت تاجر مخدرات لأقلع الناس عن التعاطي.. ولو أدرت بيت دعارة لأعلن الناس العفة وتزاحموا في دور العبادة!»

كنت أقول ضاحكة:

«إن أنصحك بافتتاح بيت دعارة.. نحن بحاجة إلى أن يستقيم هذا المجتمع»

هكذا ظهر.. أعرف يقينا أن هذه الفزفة سوف تكلفه مالا طائلاً.. ربما افترض شيئاً من أمه.. لا أعرف السبب في أن الشباب الجديرين بالحب لا يصلحون للزواج، والعكس.. معظم العرسان الجاهزين القادمين من الخليج لا يتمتعون بشيء من مواصفات فتية الأحلام.

قال لي مدحت:

«كنت أفكر في حديقة الحيوان لكن الوقت تأخر..»

«الحمد لله أنك لم تفكر.. طبعاً لن أذهب هناك بأي ثمن..»

هو لا يعرف القصة.. لهذا افترض أنني مللت هذه الفسلية المكررة خاصة وأن حديقة الحيوان لم تعد تناسب سوى المرضى النفسانيين الذين يهرون مشاهدة أقفاص خالية قدرة..

عاد يفكر:

«ربما هو السيرك.. هناك فرقة جديده...»

«لا»

ثم أضفت في عصبية:

«أي مكان فيه أسود مرفوض!.. يصعب شرح الأمر لكنه نوع من الذعر.. فهمت؟»

«وماذا عن السينما؟.. هناك فيلم جديد في سينما مترو.. إنه...»

عدت أفكر.. ثم قلت في حذر:

«سينما مترو.. ليست هي التي تعرض أفلام شركة (مترو جولدوين ماير)؟.. حيث يظهر أسد يزأر في البداية؟»

«بلى.. هذا هو شعارهم»

«إنن.. لا تحاول..»

فرصة أن يقتلني الفيلم وأمية أو معدومة، لكني سمعت قصص موت الآخرين.. فتاة تموت في يخت اسمه (برج الدلو).. واحد يموت لأن على سطح البيت جدياً.. إن المجازات وأفرة جداً هنا، وأكون ساذجة لو افترضت أن هلاكي سيكون بين أسنان أسد حقيقي يهاجمنا الآن في ميدان التحرير.

كلا.. لا يد من الخيال.

كنا الآن نعبث مكاناً مألوفاً قرفعت رأسي لأرى ما لم يخطر لي ببال.. لماذا نسيت أسدي قصر النيل؟.. هذه لحظة مناسبة كي ينهار أحد الأسدين ويسقط فوقه.

قلت له في عصبية:

«لن أعبر من هنا..»

«أنت ترددين عصبية..»

وراح ينظر لي في دهشة .. بالفعل أتصرف كالمخايل ولا يوجد أي منطق لأفعالي وتصرفاتي. راح يفكر قليلاً ثم قال لي :

«دعينا لا نذهب لأي مكان، لنقف هنا على الكورنيش ونتكلم...»

وهكذا استتدت إلى السور الحديدي أرمق النيل .. رائحة الذرة المنعشة الطازجة تتسرب لأنفي من بائع يقف خلفي. قلت له إنني أريد أن أكل بعض الذرة. تنفس الصعداء لأن هذا يعني أن الجولة لن تكلفه إلا ملاليم. لو دخلنا السينما لكان عليه أن يدفع التذكريتين والمشروبات ثم يدعوني للعشاء في (كنشاكسي) بعدها..

هكذا اتجه إلى البائع الصعيدي العجوز وابتاع كوزين ساخنين ووقف جوارى .. راح يلتهم الحبيبات وهو يكلمني عن الغد. الغد الذي يخشاه كالموت لأنه لا يرى أية شجرة يتحرك فيها. كنت أنا أخشى الغد لأسباب تختلف .. أخشى ألا يكون هناك غد أصلاً!

أخيراً عدنا في المساء .. لاحظت ملاحظة عابرة هي أن من يسبقني في المشي يلتفت لينظر لي في فضول. شيء غريب لأن خلفيتي ليست مغوية لهذا الحد..

عندما افترقنا أخيراً شكرته على الأمسية الجميلة وطلبت منه أن يتحملني .. أنا غريبة الأطوار هذه الأيام .. هز رأسه وابتسم برفق..

دخلت البيت وكانت (نتيلة) جالسة في الصالة تشاهد التلفزيون عندما مررت أمامها. هنا صاحت :

«ما هذا؟.. ماذا أصابك؟»

ونهضت مسرعة .. وضعت يدها على ظهرى :

«أنت حرقت ظهر القميص مع جزء من الإيشارب..»

ونزعت القميص ونظرت .. بالفعل هناك فجوة بحجم قبضة اليد في أعلى ظهر القميص مع احتراق طرف الإيشارب .. لقد تمسكت نار بائع الذرة المتطايرة من الفحم بتيابي. ولم أشعر أنا ولا شعر مدحت، ولحسن الحظ أنها انطفأت تلقائياً .. ولهذا كان من يراني من الخلف يلتفت لينظر لي في فضول..

قالت لي في دهشة :

«إلى هذا الحد أطار الحب صوابك؟.. لم تشعرني أنك تحترقين؟»

بالفعل لا أفهم .. من الطبيعي أن أصرخ كالمجانين وأجري وأولول..

البقعة البيضاء بين لحي الكتف !.. هذه هي البقعة التي استهاا النيران فلم تشعر.. ما معنى هذا؟.. يجب أن أذهب للطبيب غداً..

فرغ د. (مازن) استشاري الأمراض الجلدية من الفحص وبدأ عليه القلق .. لمس البقعة عدة مرات بأشياء لم أتبينها وفي كل مرة أقول له إنني لم أشعر بشيء..

قال وهو يحك شعره :

«سوف نجري المزيد من الأبحاث .. لكننا نقلق بشدة عندما نرى هذه البقعة فاقدة الحس .. إنها تعيد لأذهاننا مرضاً مقلقا هو مرض (هانسن)»

«ما هو؟»

«يحدث هذا في حالات معينة من أمراض الجهاز العصبي، لكن في العادة تكون هذه مؤشرات مبكرة على مرض الـ. لا عليك.. إنه قابل للعلاج .. الجذام صار قابلاً للعلاج وقد كان مرضاً مخيفاً في الماضي..»
«جذام!!!!» أعرف هذا الاسم ورأيت صوراً مروعة من أفريقيقا

لمرضى به .. أعرف تلك المتسولة التي مرت يدا ونظرت لي بعينين
حمرأوين لا تريان ثم مدت يداً بلا أصابع تطلب مني صدقة ..

جذام !... قلت في جزع:

«إنهم يتشوهون»

قال د. (مارن):

«ليست هذه هي القاعدة .. دعه من أننا ستبدأ العلاج بمجرد أن
يكتمل التشخيص .. الريفامبيسين .. الدايزون .. الخ .. أما التشوه
فيحدث في حالات متقدمة جداً، بحيث يصير وجه المريض مليئاً
بالعقد ويزول شعر حاجبيه كما تلتهب عيناه .. لهذا كان العرب
يطلقون على المرض اسم (داء الأسد)»

نظرت له طويلاً ثم نهضت واقفة ..

الأسد!... كان يجب أن أعرف هذا منذ البداية ..

غادرت العيادة .. أنا أعرف ما سأفعله وأعرف متى سأفعله ..

الليلة . النيل .. لن أنتظر حتى أتشوه وأضبه تلك المتسولة .. أعرف
جيداً أن هذا نصيبي من اللعنة وأني لن أشفى ..

الليلة .. النيل .. الظلام والماء البارد ..

لقد ظفر بي الأسد .. لكنني لن أنتظر حتى يلتهمني بالكامل ..

سوف أخدعه وأفر إلى أعماق النيل الباردة التي لا يمكن أن يؤذي
شيء فيها

من ٢٣ سبتمبر إلى ٢٢ أكتوبر



قال لي د. (أبو داود):

«إن أنت متأكدون من أنكم لم تقابلوه ..»

قلت في إصرار:

«لم يحدث»

عاد يحك رأسه ..

د. (أبو داود) نصاب يزعم أنه يفهم في هذه الأمور . دكتوراه من
المجر في شيء ما ، وعلى قدر علمي يمكن لكل إنسان أن يتواري عن
الأعين عامين ثم يعود ويزعم أنه حصل على دكتوراه من المجر ، وهو
يلبس نظارة رفيعة ذهبية الإطار ذات سلسلة تتدلى على قصبة أنفه ،
وله لحية قصيرة مهذبة ، ونظرة مجنونة في عينيه .. باختصار هو
مناسب جداً لهذه الأمور .

قال لي :

«من ناحية الأبراج أنا لا أثق بها ، واعتقد أنه سخر الشياطين للظفر
بكم لتنفيذ انتقامه .. لكن هذا مستحيل من دون أن يكون عنده شيء
من أثاركم .. شعرة .. قطعة من منديل .. الخ»

قلت في إصرار:

«هو لم يلتق بنا قط ..»

«إن الموضوع يتجاوز فهمي»

كنا جالسين في مكتبة الصفيح الواقع في الطابق الثاني بأحد شوارع

وسط البلد. واضح أنه يمارس تحضير الأرواح والتنويم المغناطيسي
كذلك، وكنت قد أجريت معه حديثاً صحفياً للمجلة منذ عام..

قال لي:

«على الأقل الوضع سهل بالنسبة لك.. يسهل عليك أن تباعد عن
أي ميزان..»

«كل من هلكوا حسبوا الأمر سهلاً..»

وفتحت خطاب (مروة) الأخير الذي كتبته قبل أن تغيب في النيل..
لقد تم إعداد المصيدة لها بعناية وحرص.. لو لم تنتحر لربما شفيت،
لكن الفخ النفسي كان محكماً. شعرت بأنها لن تنجو وأن القصة
منتهية بالنسبة لها. ذلك من أنها كانت عصابية تخاف كل شيء..
فليرحمها الله.. أعتقد أنني آخر من تكلمت معه في المجلة كلها عندما
حكيت لها قصة (حسن)..

قلت وقد تذكرت شيئاً:

«تذكر أن (حسن) لم يمض.. الأذى حل بأهله لكنه لم يمض...»

لمعت عيناه وقال في ذكاء:

«نقطة مهمة هي...»

ثم أغلظ وجهه وقال:

«وقد لا تكون!»

نظرت لساعتي فسألتني إن كنت على موعد.. قلت له إنني مرتبط
بعمل صحفي مهم... تمنى لي حظاً سعيداً نصحني بأن أبتعد عن أي
ميزان ممكن..

عندما غادرت مكتبه لم أكن قد ظفرت بأي شيء.. يبدو أن علي أن
أحمي نفسي بنفسي..

هكذا عدت لداري.. أغلقت الغرفة علي وجلست إلى المكتب الصغير
وبدأت أكتب الاحتمالات:

١. لا تقف فوق أي ميزان..

٢. لا تستعمل ميزان الحرارة.. قد يتهشم في فمك وتبتلع الزئبق..

٣. لا تتشاجر مع بائع في السوق فيقفذك بالميزان.. هذه حدثت
مع عم لي..

٤. ابتعد عن الورشة التي تجد فيها ميزان عجالات..

٥. ابتعد عن المحاكم.. الميزان الذي يحمله تمثال العدالة معصوب
العينين قد يسقط فوقك أنت بالذات..

الآن نضرب خيالي.. هذه اللعنات تحتاج إلى خيال خصب. هناك
كاتبة أمريكية اسمها (جين كير) أوصت طفلها بكل شيء ممكن: (لا
تقسلا التلفزيون بالصايون.. لا تضعي القط في الغسالة.. لا يدهن
أحدكما وجه الآخر بالطلاء... الخ).. وتركت البيت.. ثم عادت لتجد
أنهما فعلاً الشيء الوحيد الذي لم توص به، وهو أكل أزهار الأبقوان
في الحديقة!.. لهذا كتبت كتاباً شهيراً ساخراً عن تربية الأطفال اسمه
(من فضلكما.. لا تأكلوا أزهار الأبقوان!)..

يجب أن أجد أزهار الأبقوان الخاصة بي قبل أن يجدها عدنان..

يجب أن أنكر أن مجلتنا بدأت تعاني حالة نقص أيد عاملة مخيفة..
لقد هلك تسعة محررين في فترة وجيزة، والمشكلة أنهم كانوا من
الشباب الذي هم وقود المجلة وتروسيها.. الكل يتسائل وهناك جو عام

من الاضطراب والذعر.. لهذا لم يعد أحد يسألني متى جئت ومتى انصرفت..

بالنسبة للآخرين نحن الثلاثة محكوم عليهم بالإعدام.. رجال موتى يمشون..

نظرات الشفقة تثير غيظي.. ونظرات الذعر.. أحيانا يعاملوننا كالمرضى باعتبار أن اللعنة التي تلاحقنا قد تمتد إلى اثنين..

لماذا فضحكك يا عدنان؟.. لماذا لم نتركك وشأنك كأي نصاب آخر؟.. كم من نصاب ينعم بحياة مستقرة وثراء فاحش من دون أن يلاحقه أمثاله، والمشكلة أننا لاحقنا نصابا يجيد السحر الأسود..

لا يمكن أن أظل هنا أنتظر الموت.. لا بد أن أعيش الحياة وأمارسها.. أنا صحفي.. جورنالجي.. وسوف أعيش وأموت كجورنالجي..

هكذا بدلت ثيابي وتاهبت للخروج..

اتصلت بي (نجوى) تقول إنها بانتظاري...

نسيت أن أقول لك إن اسمي (حاتم).. برجني هو الميزان.. هو برج غاندي وبريجيت باردو وإيزنهاور.. أحرر الأخبار السياسية في المجلة، وأنا ممن يمكنك تسميتهم (مثقفو وسط البلد).. شعر طويل تأثر على كتفي، ونظارة.. أحمل حقيبة أعلقها على كتفي كساعة البريد، فيها كاميرا رقمية وجهاز تسجيل.. طبعاً لا بد من الولع الشديد بجيفارا وبوب مارلي ومحمد منير والكثير من أشعار أحمد مطر وأحمد فؤاد نجم... هذه (شروة) واحدة إما أن تأخذها كلها أو تتركها كلها.

طبعاً تكتمل الصورة لو عرفت أنني أعشق المدونات، ولي مدونة اسمها (الغاضبون).. مع الكثير من الجلوس على مقاهي وسط البلد في دائرة التحرير إياها..

(نجوى) من طرازي بشعرها النائر ونظارتها الرقيقة الشفافة وسروالها الجينز واستعدادها التام لحضور أية ندوة في أي مكان، والجلوس على الرصيف عشر ساعات كاملة.. أهلها لا يقلقون عليها على كل حال.. دعت من أذا مخطوبان تقريباً.. فقط ينقصنا الكثير جداً من المال..

الليلة كانت هناك ندوة خارقة للعادة..

هناك تجمع شبابي اسمه (رابطة الشباب المصري الليبرالي) يعقدون ندوة جماهيرية أولى لهم في أحد المقار خلف ميدان التحرير.. لن أعطي تفاصيل أكثر..

هكذا قابلت (نجوى).. سألته لماذا أبدت متوتراً فقلت لها إن صحتي ليست على ما يرام..

ليس من المستحب أن أقول لها إنني خائف من ميزان..

كان السرداق مقاما هناك في شارع ضيق مسدود.. وقد احتشد عدد من الشباب.. نحو مائتين منهم، يصخبون ويصفرون.. ورأيت ثلاثة أو أربعة من الصحفيين الأجانب البوهيميين الذين وجهت لهم الدعوة.. بينما ساعد على المنصة شاعر سليل اللسان، وبدأ يلقي قصيدة مرعبة تهاجم الحكومة والنظام وكل شيء ممكن.. تصاعد الأدرينالين في دمي وعرفت أن الأمور ستزداد سخونة..

أخرجت جهاز الكاسيت وبدأ أسجل.. ثم بحثت عن الكاميرا الرقمية لالتقط بعض الصور..

هذا الموضوع لن يظفر بالنشر في مجلتنا.. مستحيل طبعاً.. لكنني سأعرف كيف أنشره في جريدة معارضة ما..

في مقدمة السرداق خلف المتحدثين كانت هناك لافتة قماشية

تحمل شعار (رابطة الشباب المصري الليبرالي) .. مع تاريخ الاجتماع.
بينما تتدلى من أعلى لافتة خشبية مربوطة بالحبال كتب عليها الاسم
بالعربية والإنجليزية : League of Libral Egyptian Youth

وخطر لي أن من كتب اللافتة أحمق لأن لفظة Libral ينقصها
حرف E فهي تكتب هكذا Liberal.

لكن هذه الأخطاء شائعة على كل حال .. مثلما يكتب الجميع
Welcome مصرًا على كتابة حرف L مرتين ..

انتهت القصيدة فعلاً التصفيق، ثم صعد إلى المنصة شاب غزير
العرق ملتهب الأعصاب، وبدأ يخطب .. إنهم لا يبالون بنا، لكننا سنثبت
لهم أننا موجودون وقادرون على الفعل والكلام والغضب.

شعرت بمن يجذب كمي فنظرت لأرى (نجوى) تشير إلى خارج
السرايق. رأيت سيارات الأمن بلونها المميز وهي تفرغ حمولتها من
الجنود ذوي الثياب السوداء .. إنهم ينوون أمراً ..

استمر الخطيب في الكلام غير مبال .. ظهر ضابط غاضب محتقن
الوجه وأمر بعض الجنود بإخلاء السرايق. لا يوجد تصريح بهذا
الاجتماع كما قال ..

بدأ الأمر هادئاً ثم اشتعل .. حدثت مصادمات وتراشق الفاظ ..
تبادل لكمات، وفي النهاية انفتح باب الجحيم وأعطى الجنود الحرية
الكاملة في عمل ما يروق لهم .. هكذا انطلقوا يقلبون المقاعد ويركلون
ويضربون بالهراوات .. لم تأت فرق الكاراتيه لحسن الحظ ..

هتفت نجوى :

«فلنخرج من هنا»

قلت لها :

«لحظة»

كنت التقط صوراً معتازة بالفعل .. صوراً معتازة إلى أن طارت
الكاميرا من يدي فقد ضربها أحد الجنود بهراوته، نهضت تأثر
الأعصاب أحتج لكنني فوجئت بمن يهوي بكفه على مؤخرة عنقي ..

الجنود يمزقون السرايق .. صرخات .. الأوتاد الخشبية تسقط ..
فوضى تامة ..

نظرت لأعلى فوجدت أن تلك اللافتة الخشبية المعلقة قد تحطمت ..
إنها تهوي .. تهوي فوقي أنا بالذات ..

ألح للكتوب على ما تبقى منها .. Libra

جزء واحد من كلمة (ليبرالي) قد بقى ..

الآن أفهم لماذا لم يوضع حرف .. E أفهم لماذا تحطمت اللافتة بهذا
الشكل الغريب ..

الآن فقط أتذكر أنني نسيت الاحتمال الوحيد .. زهرة الأقحوان
التي وجدها عدنان ..

إن Libra معناها (برج الميزان) ..!

واللافتة تقترب .. تقترب .. تقترب ..



من ٢٣ أكتوبر إلى ٢٢ نوفمبر

ومن ١٩ فبراير إلى ٢٠ مارس

-١-

اثنان بقيا!

قالت لي صفاء وهي ترتجف:

«أنت تدرك جيداً يا كمال أننا لن نفلت.. كل واحد من الآخرين حسب نفسه قادراً على الإفلات، طبقاً لقاعدة (يحدث للآخرين فقط)، أو طبقاً لأن أضعف يقين عند الإنسان هو الموت.. لكنهم جميعاً ماتوا...»

مروءة كانت من برج الأسد، وقد شك الطبيب في أنها مصابة بداء الأسد، فقتلت نفسها لأنها لم تتحمل الانتظار حتى تعرف..

حسن كان من برج الجدي وقد فقد أهله بيدي قتلة تركهم يقرون، لأنه حسبيهم قتلوا الجدي الذي كان على سطح دارهم..

حاتم هلك بلافتة سقطت فوقه في مؤتمر شبابي معارض.. بصراحة لا أعرف دور الميزان في هذه القصة، لكن اللعنة محكمة بحيث أعرف يقيناً أن هناك ميزاناً في القصة..

لياء من برج الجوزاء وقد لقيت حتفها بسبب غلطة ارتكبها توءمان.. ياسمين أيضاً من برج العذراء ولا أعرف سبب موتها بصراحة.. هي نفسها كانت عذراء..

رافقت مدير تحريرنا كان من برج القوس.. مات وهو يستبدل مصباحاً في شقته.. بصراحة لا أفهم العلاقة لكنها بالتأكيد موجودة..

ثريا من برج السرطان وهي تلفظ أنفاسها في المستشفى الآن
بسبب سرطان متقدم ..

مي برج الدلو وقد غرقت في يخت اسمه (برج الدلو) ..

صفوت قتل نفسه وهو يتأمل صورة عملاقة لثور ..

عصام تسمم دمه من وخزة بسبب دبوس في حلية على شكل حمل ..

إذن عشرة قد لاقوا حتفهم .. عشرة من دسته محررين بدءوا هذه
القصة ..

الآن يبقى برج الجان .. برج الجان ..

هل ينجوان؟ .. كأنها قصيدة من الشعر الحديث .. جميلة جداً ..

هل ينجوان .. البرجان؟ .. لكن أين الأمان؟ .. من قبضة الجان ..
ووعيد الشيطان .. عدنان؟

هذا أقرب إلى المقامات منه إلى الشعر كما ترى ..

قالت لي (صفاء):

«إنها النهاية .. كل شيء يقول ذلك»

«ربما لم تكن كذلك ..»

وفي المجلة قال لنا مدير التحرير الجديد إنه يعطينا إجازة
مفتوحة .. هذا طبيعي .. يريد أن نموت دون أن نلوث المجلة بالدم .. لو
سقط حوت على البناية الآن ليقفل (صفاء) فلسوف يقتل خمسة أو
سنة آخرين .. من الوارد أن نأخذ معنا البعض ونحن نموت ..

دعك من أن المجلة استعوضت خسائرها بعدد من شباب العاملين ..
إنها تبدأ عهد ما بعدنا وتريد أن نرحل بسرعة ..

اسمي كمال .. عيد ميلادي هو ١٠ نوفمبر .. لو كنت تذكر الأرقام
فأنا من برج العقرب .. بيكاسو .. فولتير .. كولومبوس .. لو أردت أن
تصفني فلك أن تتخيل شاباً نحيلاً جداً أسمر جداً صعيدياً جداً .. كل
أسرتي في (جنا) طبعاً وأنا هنا أحاول أن أحقق شيئاً .. الصعيدي لا
يفشل في القاهرة أو هكذا اعتقدت ..

صفاء مولودة في ٢٢ فبراير .. هي حوت طبعاً .. مثلها مثل
أينشتاين .. لكن هذا لا يدل على شيء .. أنا لست فتاة موهوبة وهي
ليست عبقرية .. الأبراج كلها بناء متداع من الأوهام .. لو نفخ فيه طفل
صغير لتهوى .. واعتقد أننا استمتعنا بوقتنا فعلاً ونحن نهدم عدنان ..
لأن أكثرنا لا يطبق هذا السخف .. الناس تحب أن تُخدع .. هذا من
حقها .. لكنها كذلك لا تطيق أن تعترف بأنها خُدت .. تكره من يكشف
لها ذلك أكثر مما تكره من خدعها ..

صفاء فتاة تلبس الحجاب المودرن المبهرج إياه .. وتلبس أشياء
غريبة جداً مثل السروال الواسع جداً والبول أوفر الأسود .. تحت
قميص نوم شفاف .. مع محمول لا تتركه لحظة وحذاء كوتشي .. لا
بأس بعلامتها وإن كانت ليست من طرازي .. ربما تمنيت أن تكون
نهايتي مع مي أو لمياء ..

لا أعرف متى ولا كيف وجدت أننا نمشي معاً في الشارع وقد
تعانقت أناملنا ..

قالت لي دون أن تنظر:

«سوف يلدغك عقرب ..»

«وانت سيلتهمك حوت ..»

بالنسبة للعقرب هو وارد جداً .. لست مدللأ وقد لدغتنى عقارب

كثيرة من قبل في قريتي . التهاب في موضع اللدغة وقيء وحمى لمدة يومين .. أنت تكون في العن حال لكنك لا تموت .. لن يلدغني عقرب حقيقي بل عقرب مجازي .. ربما عقرب ساعة مسموم أو حفل صاحب لفرقة (سكوربيونز) .. أو .. أو ..

أما هي فمن العسير أن يقابل المرء حوتا في وسط البلد . ربما تضطر إلى السفر إلى جنوب أفريقيا وتركب سفينة صيد حيتان . ثم يقرر البحارة عقابها فيلقون بها في الماء . هذا هو الاحتمال الوحيد .. هناك متاجر اسمها (الحوت) في كل مكان .. قد تدخل محلاً منها فيحترق وهي فيه . هذه التعويذة لا تفتقر إلى الخيال ..

تقول لي :

« فلنجلس في كافيتريا .. »

نجلس .. أتأمل وجهها وتتأمل وجهي .. موجة واحدة تسري بيننا .. تبتسم .. تمد يدها لي .. أرفعها وألثم أناملها .. الآن أشعر أنها جميلة جداً .. لم يرق لي منظرها المبهرج من قبل لكنني الآن هش جداً .. جداً ..

اثنان حكم عليهما بالموت .. لماذا لا نتزوج يا صغيرة .. لماذا لا نرى العالم معاً مرة أخيرة ؟

تنظر لي انظر لها .. تبتسم .. ابتسم ..

تنهض وأدفع الحساب .. أعد ما معي من جنيهات

شارع مسقوف ابتلت أرضه بالمياه وتناثرت المقاهي الشعبية على جانبيه . هذا الماذون يظل ساهراً لفترة .. لا .. لا أريد زواجاً عرفياً فلم يعد لدي ما أخشاه .. تعال يا حاج .. وأنت .. تعال أنت أيضاً .. معك بطاقة ؟ .. نريد شهوداً على عقد زواج .. لك الجلاوة .. ستوفقان رأسين في الحلال ..

نصعد درجات السلم المحطمة . المأذون ينظر لنا في دهشة .. منذ زمن سحيق لم يعد الشباب يتزوجون رسمياً عنده بل يتزوجون زواجاً عرفياً أو يزنون .. هذا التصرف لا يمكن فهمه . تقول لي صفاء :

« سوف تتدم يا كمال .. أنت صعيدي والزواج بهذه الطريقة مقرون بالعار .. لن يسامحك أهلك .. »

« لا أبالي .. وماذا عن أهلك أنت ؟ »

تنظر لي بعينين عسليتين وتقول :

« أنا ميتة .. لم أعد أهتم برأيهم .. »



تذكرت الزيجات السريعة التي كانت تتم بين الجنود السوفييت والقرويات ليلة رحيل الجنود للجهة .. نفس الشيء تقريباً . عندما سادت في أوروبا إشاعة أن نهاية العالم سنة ١٠٠٠ . تزوج الناس في كل مكان بسرعة . وكان يكفي أن تجد فتاة تقبل الزواج بك لتكون زوجتك خلال خمس دقائق . طبعاً حدثت مشاكل اجتماعية كبرى عندما مرت الساعات الخطيرة ولم ينته العالم .. عندها فطن كل واحد للمصيبة .. كيف فقدت عقلي وتزوجت امرأة بهذا القبح . بهذه السعاجة . بهذا الغباء ؟ الخ ..

هل هو حب ؟ لا .. لا .. ليس حباً بالتأكيد .. لكن الهشاشة النفسية تجعلك تتشبث بأي إنسان وتشعر باتك تهيم به حباً .. كلانا يفهم هذا لكننا سنتناساه ..

بعض الأوراق المالية لهذا وذاك .. أجر الماذون .. سيجارة لكل شاهد .. زجاجة مياه غازية .. ثم ننهض .. إن هذا الفندق لا يسال عن أي شيء .. لو اصطحبت معك الجيش الإثيوبي كله فلن يعترض أحداً .. صحيح أننا زوجان شرعيان لكن ليست معنا أوراق تثبت هذا بعد ..

فندق رخيص.. غرفة قدرة متوسطة النظافة لكنها تصلح.. لا عقارب.. لا حيطان..

الظلام جميل.. الظلام يشعر بك بأنك قد تكون في قصر المنتزه أو قصر فرساي.. لا داعي لأن ترى.. في الظلام تقول لها:

«تأخرت عن بيتك.. لا بد أنهم قلبوا الدنيا عليك»

«ألا تفهم؟.. أنا لم أعد أنتهي لهذا العالم ولا أشعر بأن قواعده تنطبق علي.. لم يلم أحد من قبل فتاة ميتة على أنها تبث خارج البيت تحت الأرض.. أنا ميتة.. لقد وثقت بأن عدنان هذا لم يترك ثغرات»

صباح اليوم كانت زميلتي في العمل ولم يخطر ببال أحدنا شيء من هذا.. الآن هي زوجتي وأم عيالي لو عشنا!

سألتها همسا:

«هل تعرفين أنه مولود في ١ يناير؟.. لقد راجعت معلوماتنا عنه»

«تاريخ طريف لكن ما معناه؟»

«معناه أنه من مواليد برج الجدي.. هل فهمت؟.. هناك سبب لكون (حسن أبو غصيبة) لم يمت لكن قُتل أهله. اعتقد أن عدنان استثنى برجه من تلك اللعنة، وإن أرسل انتقامه في شكل آخر..»

«وهل لديك فكرة عن سبب بقائنا للنهاية؟»

«لا أعرف.. لكن لا بد أن يبقى أحدهم في نهاية القائمة..»

«إلى أي حد تعتقد أن ما حدث مصادفات؟»

«كفي عن السخف.. الأمر يشبه ما قاله العلماء الملحدون: لو تركت قرناً يجرب حظه على الآلة الكاتبة لملايين السنين، فلسوف تجد بين ذات

يوم على الورقة قصيدة لشكسبير!.. هذا ببساطة سخف... أرفض أن اصدق أن تحدث عشر مصادفات متتالية لعشرة أشخاص...»

«وماذا عن وجود قاتل يتابع الجميع ويرتب كل شيء؟»

«قاتل يصيب البعض بالسرطان والبعض بالجذام ويفك عجلات البعض ويغرق البعض.. الخ... دائماً هو في المكان الصحيح والوقت الصحيح.. هذا قاتل كرتي وله تحياتي فعلاً»

كل هذه المناقشات جرت من قبل ولم نتوصل لشيء..

عدنان القميء يشع الخلقة.. أراه أمامي الآن بوضوح تام.. الدم ينزف من معصمه المقطوع في زفازته الفرنسية..

عيناه الناريان..

أغمضت عيني ببطء.. لا تنم الآن يا كمال.. أريد أن اذهب إلى الحمام من أجل.. من أجل... ..

- ٢ -

صفاء.. صفاء.. استيقظي يا فتاة..

أنت غائبة في النوم لكن يجب أن تنهضي.. حرري قدميك من نهر النوم اللزج الشبيه بالعسل..

ضوء خافت واهن يأتي عبر خصاص النافذة.. إنه الفجر.. (صباحية مباركة يا عروسة)... لم تتصوري قط أن يبدأ شهر عسلك في غرفة قدرة كهذه.. دون أن يعرف أحد..

لا توجد ألوان.. درجات من الرمادي والأزرق الشاحب في الغرفة كلها، وكمال راقد جوارك يفانلته الداخلية، تتسع طاقتا أنفه الأسمر وتضيقان.. إنه نائم جداً..

زوجك... زوجك لساعات مكدودة إلى أن تلفظي أنفاسك الأخيرة!.. تناولت أنامله ولثمتها..

تنهضين.. حقيبته جوارك على الكومود العتيق الذي يستند على ثلاثة أرجل.. ما هذه الرائحة في الحجرة؟.. رائحة محببة لكنها غامضة..

تفتحين الحقيبة وأنت في الفراش وتبحثين فيها.. من حقا الآن أن تعرفي المزيد عن زوجك..

هناك أوراق.. أوراق تتحدث عن عدنان بالتفصيل.. كل المعلومات عنه فلا يوجد شيء جديد.. لكن.. الرجل مولود في ٩ نوفمبر.. من قال إنه مولود في ١ يناير؟.. أخطأ كمال عندما قال هذا..

ولكن.. معنى هذا أن (عدنان) و(كمال) من برج العقرب كليهما.. عدنان لا يمت لبرج الجدي بصلة..

هناك صور.. صور من أرشيف الجريدة.. ١١ صورة لـ ١١ محرراً ممن تورطوا في قصة عدنان هذه.. هذا شيء متوقع ولا غرابة فيه.

لكن هذه الرائحة؟

نهضت في حذر فارتديت ثيابي لأنني كنت بثيابي الداخلية (لم احضر قمصان نوم ولا شيء على الإطلاق). وفتحت الباب.. دورات المياه في هذا الفندق مشتركة. وقد تسلكت إلى الحمام وبدأت أغسل وجهي. لا شك في أن الرائحة تتزايد.. رائحة تذكرك بالشمع المحترق.. اتجهت إلى دورة مغلقة وفتحت بابها حيث خيل لي أن الرائحة تأتي منها..

هنا وجدت أمامي مشهداً مريعاً..

لقد استقرت على الأرض المبتلة الزلقة شمعة سوداء تشتعل في بضع وقد قارب نصفها النفاذ... وعلى الجدار كانت هناك صورة..

صورة لي أنا تم تثبيتها بشريط لاصق.. هذه الصورة أخذها من الأرشيف طبعاً..

لقد رقد في الفراش ينتظر على أمل أن يزيل آثار هذا كله عندما تحترق الشمعة بالكامل، وبالتالي يخفي كل آثار الجريمة، لكن النوم غلبه من إرهاق اليوم..

شمعة سوداء تحت صورة هي من وسائل السحر الأسود القديمة جداً.. عندما تنتهي الشمعة سوف تخرج الشياطين للظفر بي. عدنان كان بحاجة إلى من يكون بقربنا.. لهذا اختار واحداً من برجه.. اختار (كمال). وكان على كمال أن يشعل في كل مرة شمعة سوداء تحت صورة الشخص الذي جاء دوره.. يشعلها حتى تنتهي عندها يكون قرار الإعدام قد صدر فلم يبق إلا التنفيذ... السحر بالاقتران؟.. هذا وارد.. إن شعيرات عديدة تلتصق بالشمعة وتلتف حولها ولا شك أنها شعيرات من رأسي. الوسادة مليئة بها. كمال كان قادراً على الحصول على شيء يخص كل واحد منا.. منديل ورقي ألقتة فتاة.. شعرة من فتي.. الخ..

عندما قال إن عدنان من برج الجدي كان يكذب ليضللني...

هل هو متأمر؟.. لا أعتقد.. لقد بدا لي صادقا.. ربما هو لا يعرف ما قام به.. على الأرجح هو لا يعرف.. إن روحا شريرة تستحوذ عليه..

في رعب مددت يدي وأطفأت الشمعة بين إصبعين.. ثم رحت أزيل ما التفت حولها من شعر بحذر. كانت أمني توصيني بالتخلص من الشعر في دورة المياه، وكان معها كل الحق..

لو كان هذا صحيحاً فـ (كمال) هو تجسد لعدنان.. يفعل ما أراد عدنان أن يفعله.. كمال هو المسئول عن موت عشرة أبرياء لم يقتروا ذنباً..

عدت للحجرة..

كان نائما نوما عميقا كنوم العرسان جميعا. جواره على الكومود كان غطاء معدني صغير دفن فيه بقايا سجاثره.. تناولت أحد تلك الأعتاب التي بللها لعابه. فتحت حقيبته وبحثت عن صورته.. أخذت علبة الثقاب معي..

عدت إلى الحمام.. قمت بتثبيت عقب السيجارة على الشمعة السوداء. انتزعت صورتي.. مزقتها وتخلصت منها في المرحاض. ثم قمت بتثبيت صورته هو وأشعلت الشمعة من جديد..

الشمعة تتوهج.. الضوء يتراقص على الصورة والعينين..

وقفت أراقب الشمعة وهي تذوب ببطء... ببطء..

الصورة تتجدد من الحرارة..

لا بد أن عشر دقائق كاملة مرت علي وأنا واقفة هناك أرمق هذا المشهد. في النهاية انتهت الشمعة فتخلصت منها والصورة في دورة المياه....

كان ما زال نائما عندما عدت للغرفة. انحنيت فلتفتت خده.. لو لم أكن حقيقا فهي القبة الأخيرة. ربما أنا أرملة فعلا منذ ثلاث دقائق. أخذت حقيبتي وتسلمت خارجة....

كانت الردهة خالية والكاتب نائما على منضدته في مدخل البناية. أمر أمام الجدران التي الصقت عليها المرايا وأنظر لعشرات النسخ من وجهي الشاحب المرهق الحزين..

أخرج إلى الشارع الذي بدأ يكتسب لون النهار.. أرى حشداً من الأطفال في ثياب المدرسة يثرثرون.. عندها شعرت بأنني أثوب لرشدي..

- ٣ -

صفاء.. صفاء.. أنت حامل يا فتاة..

لا أحد يعرف ولا أحد يتصور....

القصة المعقدة التي حكيتها عندما عدت للبيت صباحا. كل الكلام الفارغ عن العاطلين اللذين اختطفك إلى شقة مفروشة واستطعت الهرب منهما.. البلاغ في القسم وعرض صور المشتبه فيهم عليك..

المهم أن أهلك ابتلعوا القصة.. كيف لو عرفوا أن ابنتهم متزوجة؟.. لو عرفوا أنها أرملة؟.. لو عرفوا أنها حامل وأن ابنها يتيم من قبل أن يولد؟ أنت في مأزق..

على الأرجح ستحاولين التخلص من هذا الجنين.. ليس فقط لأن أهلك لا يتوقعونه، ولكن لأنه يحمل شيئا من كمال، وبالتالي هو يحمل شيئا من عدنان..

كائن كهذا يجب ألا يسمح له بالمجيء للكون..

كمال قد مات.. وجدوه ميتا بعد تلك الليلة ببومين في أحد المقاهي بالقاهرة. لم يجدوا علاقة بين موته وأي عقرب، لكني اعتقد أننا لو بحثنا لوجدنا علاقة قوية.. من المؤكد أن عقربا لم يلدغه لكن يمكنك أن تتخيل أكثر من طريقة مات بها.. عقرب ساعة.. شريط للفرقة السكوربيونز.. منتج اسمه (سكوربيو)... لا أعرف حقا..

إن هذه اللعنة واسعة الخيال..

لقد تحررت، وسوف أعيش حياة طبيعية قدر الإمكان. لكن السؤال الوحيد الذي سيؤرقني ولن أجده إجابة هو: كيف كان عدنان ينوي أن يقتلني بحوث؟